البابا شنوده الثالث

من وحي الميلاد

البابا شنوده الثالث



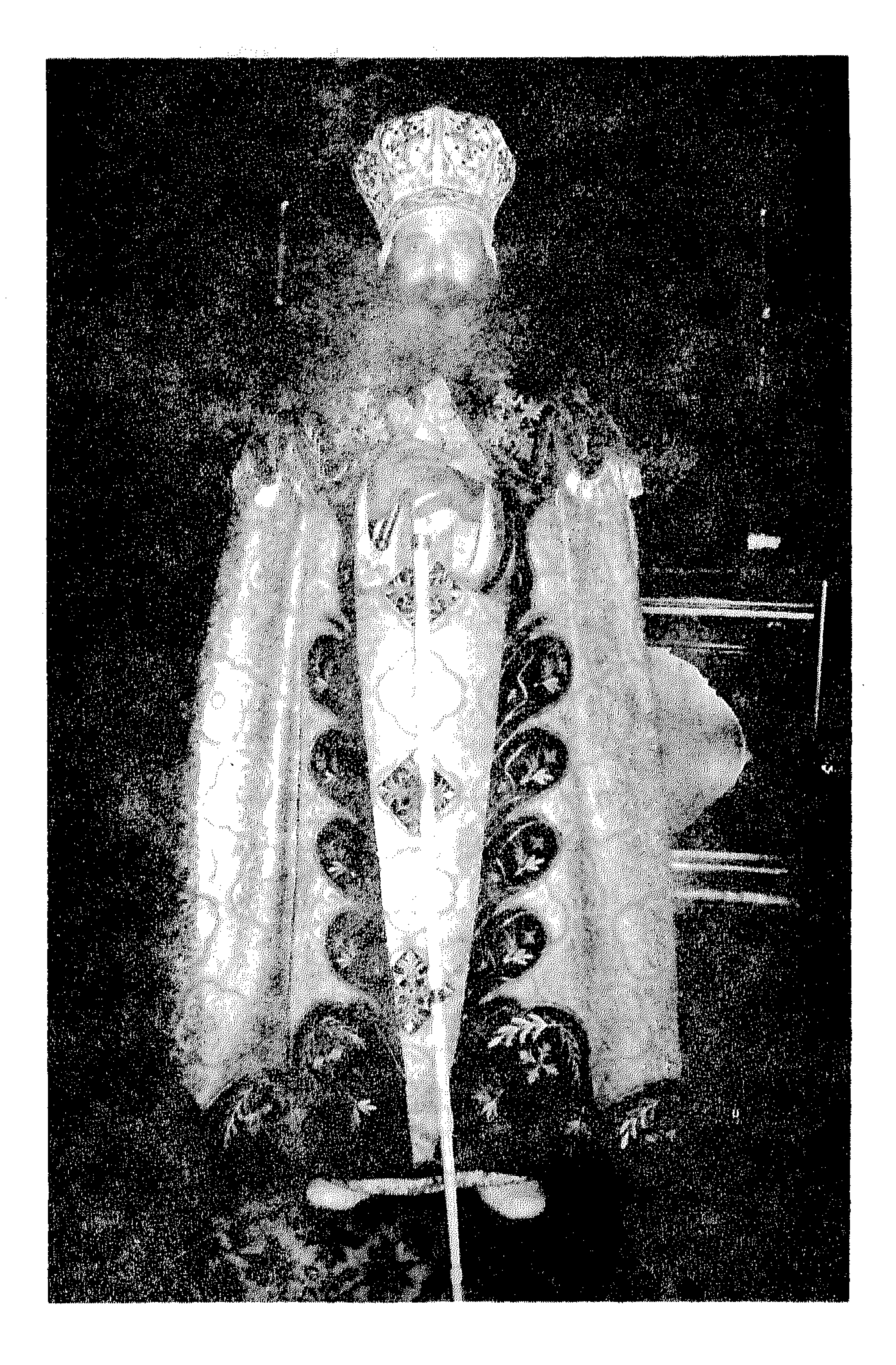
From The
Inspiration of the Nativity

By H. H. Pope Shenouda III

2nd Reprint
Nov. 1985

الطبعة الثانية
نوفمبر ١٩٨٥

الكتاب : من وحى الميلاد .
المؤلف : البابا شنوده الثالث .
التاريخ : نوفمبر ١٩٨٥ م .
المطبعة الأنبا رويس بالعباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٥٤ / ١٩٨٣



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية "الـ ١١٧"

بسم الآب والإبن والروح القدس - الإله الواحد آمين

تصـــدير

فى كتابنا السابق [تأملات فى الميلاد] :

نشرنا لكم بعض محاضرات ألقيناها خلال سنتى ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ بالقاعة المرقسية بدير الأنبا رويس . وقد شملت خمس موضوعات هى : أخلى ذاته- ملء الزمان- عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا- مصالحة السماء والأرض- دروس من حياة العذراء .

أما فى هذا الكتاب :

فنقدم لكم محاضرات أخرى عن الميلاد ، ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى ، وهى :

١ - « باركت طبيعتى فيك » ألقيت مساء الجمعة ١٩٨٠/١١/٢٨ .
٢ - « ذهباً ولباناً ومراً » ألقيت مساء الجمعة ١٩٨٠/١/١١ .
٣ - « تأملات فى الميلاد » ألقيت مساء الجمعة ١٩٧٧/١/١٤ .
٤ - « دروس من الميلاد » ألقيت مساء الجمعة ١٩٧٨/١/١٥ .

٥ - مقال عن الميلاد فى يناير ١٩٧٣ .
٦ - مقال عن (المشيح للكل) نشر ضمن مقال تأملات فى الميلاد .
٧ - كلمة ألقيت فى الإذاعة فى أحد أعياد الميلاد .

ومازالت هناك موضوعات كثيرة قيلت عن الميلاد ، لم نجد متسعاً لها فى هذا الكتاب .

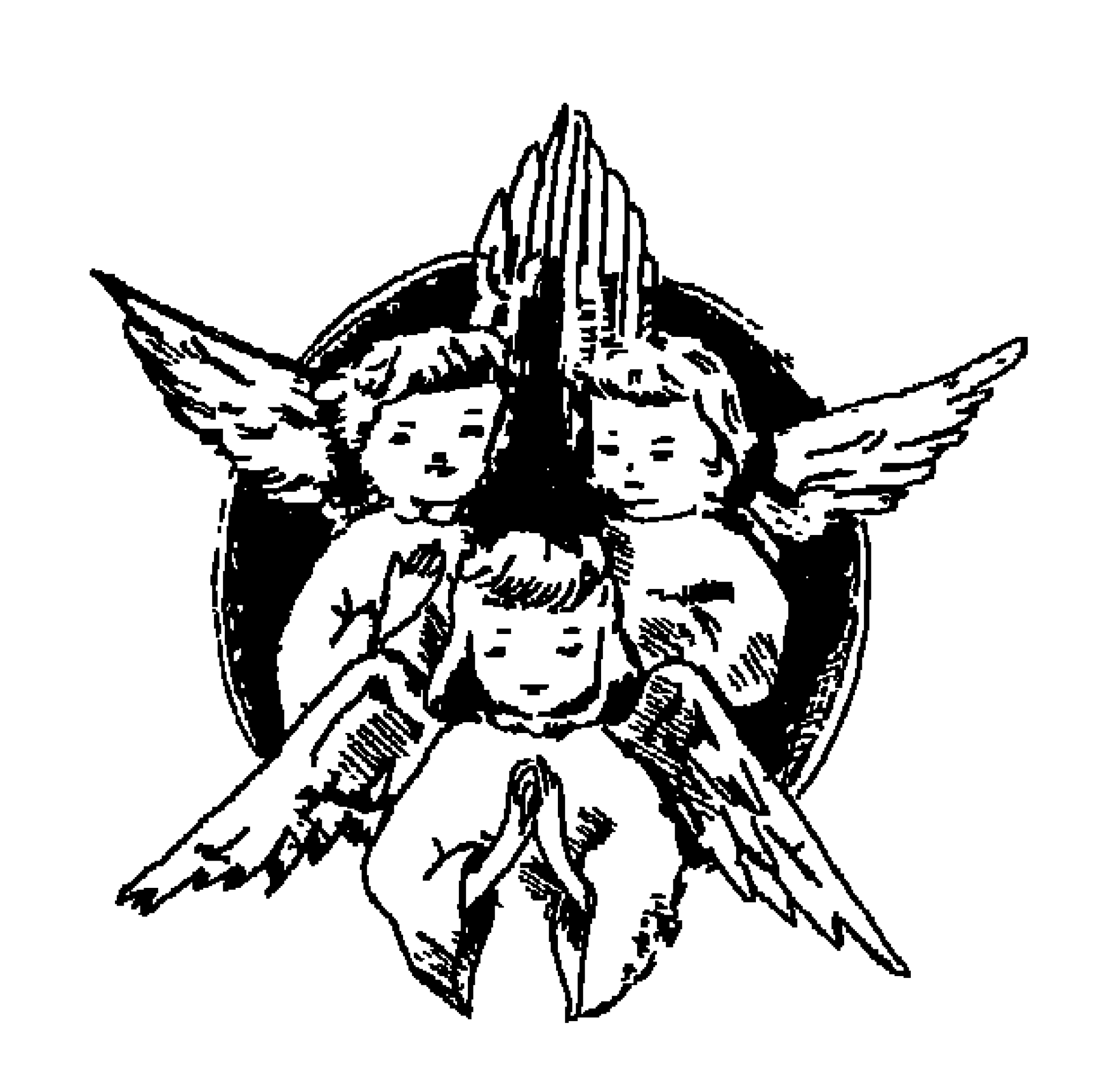
وكذلك هناك (أسئلة عن الميلاد) لم نجد لها مجالاً أيضاً .

إلى اللقاء فى مجلد كبير عن الميلاد ، نرجو أن يساعد الرب على نشره بمشيئته الإلهية .

شنوده الثالث

فهرست

صفحة



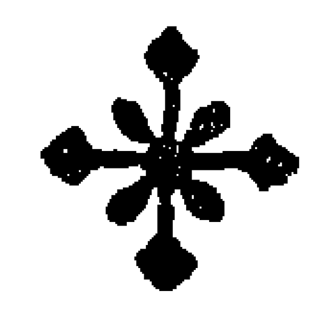


- .. عادت إلى صورة الله ..
- .. وأعطى طبيعتنا روح القوة ..
- .. صارت هيكلاً للروح القدس ..
- .. الطبيعة التى تغلب الشيطان ..
- .. طبيعة تنتصر على الموت ..
- .. أصبحت لنا طبيعة جديدة ..
- .. وبارك طبيعتنا بالرجاء ..

لا تقل طبيعتى هكذا

- نالت طبيعتك نعمة البنوة ..

ألقيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ٢٨/١١/١٩٨٠



بسم الآب والإبن والروح القدس ـ الإله الواحد آمين

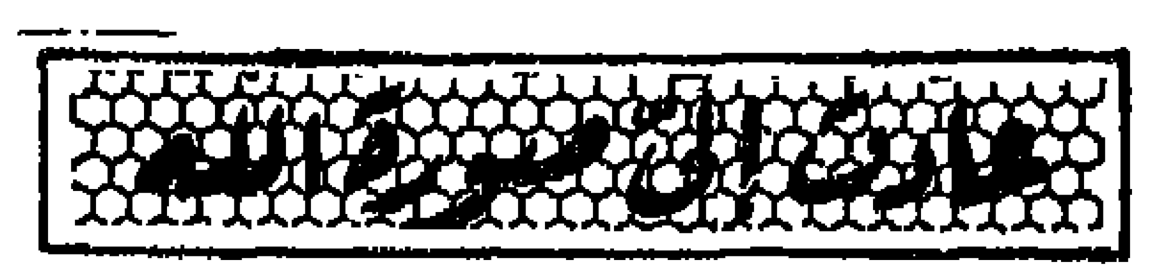
أود أن أكلمكم فى هذه الليلة عن :

إحدى بركات التجسد الإلهى ، وهى مباركة الطبيعة البشرية :

وأعنى بهذا أن السيد المسيح ، لما لبس طبيعتنا ، بارك هذه الطبيعة . ولذلك نقول فى القداس الإلهى (الغريغورى) « وباركت طبيعتى فيك » ...

فالطبيعة البشرية ـ بتجسد السيد المسيح ـ لم تعد طبيعة فاسدة .

وكما قال القديس أثناسيوس الرسولى : إن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله . ولكنه فسد بالخطية ، وفقد صورته الإلهية . فجاء السيد المسيح يقدم للإنسان صورة الله مرة أخرى فى الطبيعة البشرية التى لبسها .



بارك هذه الطبيعة ، لتعود كما كانت : صورة الله ومثاله .

ولذلك فإنه فى هذه الطبيعة ذاتها ، عالج كل الضعفات التى وقع فيها الإنسان الأول ، كما عالج ضعفات الإنسان بصفة عامة .



أخذ الطبيعة الضعيفة المهزومة ، وأعطاها روح القوة .

هذه الطبيعة الساقطة المغلوبة المهانة ، باركها الرب وأعطاها قوة لم تكن لها . ولذلك فالإنسان فى المسيح يسوع لم يعد إنساناً ضعيفاً ...

تصوروا إنساناً مثل بولس الرسول يقول « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) . حقاً ، من يجرؤ أن يقول « أستطيع كل شىء » ؟! يقولها من يناجى الرب بعبارة « باركت طبيعتى فيك » .

لأن من يؤمن بعمل المسيح فيه ، يعرف أيضاً قول الكتاب « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

ومن بركات الرب التى بارك بها طبيعتنا ، أنها :



وهذه الطبيعة المباركة أمكن أن تكون هيكلاً للروح .

الروح القدس أصبح يحل فى هذه الطبيعة البشرية ، بسر المسحة ، سر الميرون . وأصبحت أداة لينة طيعة فى يد الروح القدس يعمل بها عجائب . وتظهر فيها ثمار الروح (غل ٥: ٢٢) . وأصبحت أيضاً مجالاً لمواهب الروح (١كو ١٤)... وهكذا أصبح جسد الإنسان هو هيكل للروح القدس (١كو٧ : ١٩) .

وبارك الرب هذا الجسد أيضاً ، فأصبح له .

هذا الجسد الساقط ، الذى اشتهى الثمرة المحرمة وأكل منها ، والذى كثرت شهواته فيا بعد ، والذى ارتبط بالمادة وخضع لها... لما بارك السيد المسيح طبيعتنا البشرية ، لم يعد هذا الجسد فاسداً كما كان من قبل . بل إن القديس بولس الرسول يقول :

مجدوا الله فى أجسادكم ، وفى أرواحكم التى لله (١كو٦ : ٢٠) .

أى أن هذا الجسد لما بوركت طبيعتنا ، صار أداة لتمجيد الله ، وصار لله . وكيف تبارك هذا الجسد؟ ومتى ؟ تبارك لما لبس الرب جسداً (يو ١ : ١٤) ، لما أخذ جسداً واتحد به فى طبيعة واحدة...

هناك فارق كبير بين العهد القديم والجديد ، خذوا مثالاً له :

فى العهد القديم كان من يمس جسد ميت يتنجس (لا ٢١ : ١) ، ذلك لأنه يمس جسداً مات وهو تحت حكم الدينونة ، لم يتبرأ من خطيته بعد ، بل سيذهب إلى الجحيم...

أما فى العهد الجديد ، لما بارك الرب طبيعتنا ، تغير الوضع تماماً .

أصبحنا نلمس أجساد الذين انتقلوا ، فنتبارك بها .

لقد قدس الرب طبيعتنا بدمه الطاهر ، وحمل الخطايا التى كانت تنجس هذا الجسد... وهكذا أصبحنا نتبارك من عظام القديسين . ولم يعد لمس جسد الميت نجاسة كما كان الأمر فى العهد القديم...

السيد المسيح لما بارك طبيعتنا ، وبارك الجسد إذ اتحد به ، أرانا أن الجسد يمكن أن يسلك بطريقة روحانية ، وأن الجسد يمكن أن يخدم الله كما تخدمه الروح ، وأن طبيعتنا البشرية كلها ، جسداً وروحاً ونفساً يمكن أن تكون مقدسة وطاهرة...

إننا نتعب حينما تسيطر الخطية على الجسد ، وتستخدمه لأغراضها .

فالعيب إذن فى الخطية ، وليس فى الجسد ...

وحتى لو خضع الجسد للخطية ، لا يكون العيب فى الجسد ذاته كطبيعة ، إنما العيب هو فى هذا الخضوع . أما الجسد فقد باركه الرب وقدسه . ومن اهتمام الله بهذا الجسد ، انه سيقيمه فى اليوم الأخير، وسينعم عليه بأن يكون جسداً نورانياً روحانياً ، يتجلى فى مجد...

ماذا فعل السيد المسيح أيضاً ، لما بارك طبيعتنا فيه ؟

لقد قدس الرب جميع غرائز الإنسان .

كل ما فى الطبيعة البشرية أصبح طاهراً « كل شىء طاهر للطاهرين » . قدس الرب الأكل لما أكل ، كما قدس الصوم لما صام . قدس الراحة والتعب . قدس النوم والصحو، لما مارس كل هذا...

السيد المسيح الوديع الهادىء ، الذى « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » ، قدس الوداعة والإتضاع بوداعته واتضاعه... وأيضاً قدس الغضب ، لما أمسك سوطاً وطرد الباعة من الهيكل...

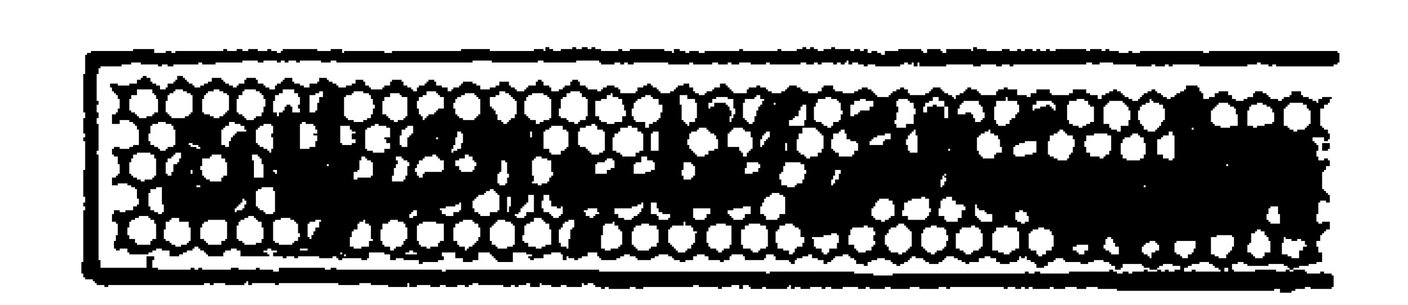
وأرانا أن الغضب يمكن أن يكون مقدساً ...

وذلك إذا ما استخدم حسناً ، ومن أجل الحق ، وفى حدود معينة تجعله بعيداً عن الخطأ ، بل لازماً فى بعض الأحيان .

وقدس الرب كل الأعمال البشرية التى مارسها .

قدس الخدمة والكرازة ، تماماً كما قدس الوحدة والتأمل .

ذلك أنه سلك الأمرين معاً ، إذ كان يقضى الليل فى الصلاة فى الجبل فى بستان جثسيمانى . وفى نفس الوقت كان يجول يصنع خيراً ، يطوف المدن والقرى يكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض (مت ٤ : ٢٣) .



فى الطبيعة البشرية التى باركها المسيح ، أعطانا روح الغلبة . أعطانا أن نغلب العالم ونغلب الشيطان .

الطبيعة الأولى الساقطة أيام آدم ، كانت تخاف الشياطين . وكان الشيطان رعباً للبشر، وقد تعود أن يسقطهم . ولذلك قيل عن الخطية إنها «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء» (أم ٧ : ٢٦) . ذلك لأن الشيطان استهان بالطبيعة البشرية ، فلم يفلت من بين يديه أحد من البشر .

« الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله »

« ليس من يعمل صلاحاً . ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٣) .

واستمر الحال هكذا ، والشيطان مسيطر . حتى صار لقب الشيطان هو « رئيس هذا العالم» (يو ١٦ : ١١) . وكان الشيطان يفتخر بإسقاط بنى البشر، حتى أنه وقف متحدياً فى قصة أيوب الصديق ، وقال عنه للرب مرتين « ولكن ابسط الآن يديك... فإنه فى وجهك يجدف عليك» (أى ١ : ١١ ، ٢ : ٥) .

كان الشيطان يفتخر بأنه أسقط الكل ، أو يستطيع أن يسقطهم ...! إلى أن لبس المسيح طبيعتنا البشرية ، واستطاع فيها أن يقول «من منكم يبكتنى على خطية ؟!» (يو ٨ : ٤٦) . واستطاع أيضاً أن يقول :

« رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له فىّ شىء » (يو ١٤ : ٣٠) .

ولأول مرة يجد الشيطان نفسه مهزوماً . ليس فقط حينما قال الرب عنه «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠ : ١٨) . وإنما أيضاً أحس الشيطان بالضعف والفشل فى التجربة على الجبل (مت ٤) .

هزمه كإبن للإنسان ، نائباً عن طبيعة الإنسان .

فى كل المواضع التى انهزم فيها الإنسان الأول ، إنتصر المسيح على الشيطان . ورأى الشيطان أمامه طبيعة أخرى يقف عاجزاً أمامها ... وكان سهلاً على الشيطان فى كل حروبه مع السيد المسيح ، أن يقبل إنهزامه أمام إبن الله... أما أن ينهزم أمام «إبن الإنسان» ، فكان هذا أمراً يغيظ الشيطان ويتعبه .

وأصر السيد المسيح على استخدام لقب « إبن الإنسان » ، على اعتبار أنه جاء نائباً عن الإنسان، ليس فقط فى دفع ثمن خطية الإنسان، إنما أيضاً بتقديم صورة طاهرة للإنسان ترضى قلب الله الآب، كما ترمز تقدمة الدقيق فى سفر اللاويين (لا ٢)...

الإنسان الطاهر المنتصر الذى يقول : باركت طبيعتى فيك .

أراد الرب أيضاً أن يشعرنا أن طبيعتنا يمكن أن تنتصر. وهكذا رفع الرب معنوياتنا، وأعطانا الرجاء فى حياة الغلبة. وقال لنا : «فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦ : ٣٣).

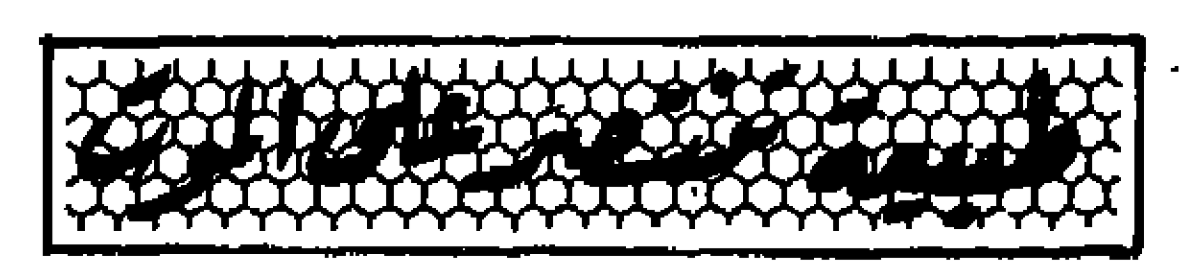
ولكن أى رجاء يعطينا ، أنك قد غلبت العالم ؟

نحن نعلم تماماً أنك قادر أن تغلب العالم ، فأنت القادر على كل شىء. ولكن كنا نود أن نسمع منك عبارة «ثقوا أنكم ستغلبون العالم»... ولكن الرب يشرح لنا ما هو المقصود بقوله «ثقوا أنا قد غلبت العالم»... وكأنه يقول: أنا قد غلبته كإبن للإنسان. غلبته بهذه الطبيعة البشرية التى لبستها، وأعطيت لهذه الطبيعة القدرة على حياة الغلبة.

غلبت العالم بطبيعتكم ، كعربون لكى تغلب طبيعتكم العالم .

صار ممكناً منذ الآن أن الطبيعة البشرية تغلب العالم، بعد أن غلبته أنا فيها... حقاً يارب: باركت طبيعتى فيك... وأعطيتنى أنا الإنسان الضعيف طبيعة جديدة قادرة أن تغلب العالم... طبيعة يقف أمامها الشيطان خائفاً منها، بعد أن كانت خائفة منه. أصبح يخاف الطبيعة البشرية ليس فى شخص المسيح فقط الذى اتحد بها لاهوته، إنما أيضاً فى أشخاصنا نحن البشر الذين بارك الرب طبيعتنا.

ولنتأمل هذه الطبيعة البشرية المباركة التى يخافها الشيطان...



قال السيد المسيح لتلاميذه وهو يرسلهم للخدمة « إكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات». هذه حرب تعلن ضد الشيطان، ولكنها قد لا تخيفه. فماذا أيضاً؟ قال لهم «أقيموا موتى. أخرجوا شياطين» (مت ١٠ : ٧، ٨). حقاً هنا

يكمن الخوف للشيطان. ولكن هل هناك ارتباط بين هاتين العبارتين:

« أقيموا موتى . أخرجوا شياطين » أى ارتباط بينهما ؟

واضح أن عبارة « أخرجوا شياطين » فيها سلطان على الشياطين، رجع بعدها التلاميذ فرحين يقولون للرب «حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك» (لو ١٠ : ١٧). ولكن السؤال الهام هنا هو:

ماذا يخيف الشياطين فى عبارة : أقيموا موتى ؟

الأمر واضح أيضاً : إن الموت هو التحطيم الذى استطاع به الشيطان أن يحطم الطبيعة البشرية. هو أجرة الخطية التى جلبها الشيطان. ولذلك نقول للآب فى القداس الإلهى «والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته...». والشيطان يظن أن هذا الموت هو نهاية الإنسان. ولكن عندما يرى الإنسان يقوم، يشعر أن عمله الشيطانى بلا نتيجة.

على أن كثيرين قاموا من الموت، ورجعوا فماتوا مرة أخرى مثل إبن أرملة صرفة صيدا، وإبن الشونمية، ومثل الذين أقامهم الرسل من الموت. ولكن إقامة الموتى هنا كانت مقدمة لعمل أعظم يحطم كل دولة الشيطان وهو:

قيامة السيد المسيح، التى لا موت بعدها ...

هذه القيامة كانت ترعب الشيطان لأنها تهدم كل عمله الذى تعب فيه من قبل. وقد وعدنا الرب أن نقوم من الأموات. وحقاً سنقوم فى شبه مجد قيامته، بجسد روحانى لا يموت. وبهذا الجسد نرث الحياة الأبدية... إذ بارك الرب طبيعتنا فيه.

طبيعتنا المائتة، وهبها الرب ببركته عدم موت ...

كما قال الرسول عن جسدنا المائت « هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد. وهذا المائت يلبس عدم موت» (١كو ١٥ : ٥٣). وهذا الموت الذى من أجله نصب الشيطان كل فخاخه وحبائله، وكل مكره وحيله، سوف نغنى له ونقول:

أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ (١ كو ١٥ : ٥٥).

وحينئذ تصير الكلمة المكتوبة : ابتلع الموت إلى غلبة (١ كو ١٥ : ٥٤).

وشكراً لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح ، **هذا الذى بارك طبيعتنا فيه ، وأعطانا نعمة الحياة وعدم الموت .**

إذن كانت إقامة الموتى التى وهبت للتلاميذ هى « بروفة » **لتحطيم معنويات الشيطان .** هى مقدمة ورمز للقيامة الخالدة التى لا موت بعدها .

وماذا تعنى عبارة « لا موت » ؟ تعنى لا خطية . لأن أجرة الخطية هى موت (رو ٦ : ٢٣) . ونحن كنا أمواتاً بالخطايا . وعدم الموت بالنسبة إلينا ، معناه أن الله قد محا الخطية ولم يعد يذكرها (أر ٣١ : ٣٤) . وهذا أخوف ما يخافه الشيطان ، لأنه ضياع لكل ثمرة تعبه خلال عصور وأجيال طويلة ...

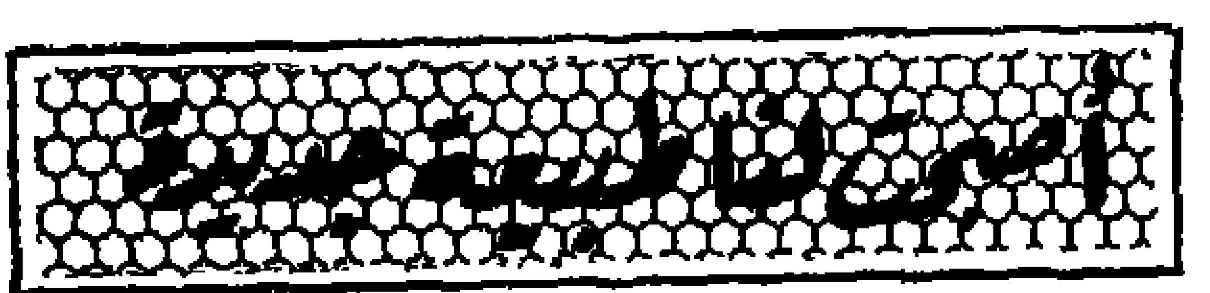
إن عبارة « أين شوكتك يا موت ؟! » ، لا شك أنها تتعب الشيطان ...

يقول بولس الرسول « إنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

عبارة « لا موت » أصبحت ترعب الشيطان ، لأن كل عمل الشيطان هو أن يجلب حكم الموت على الناس . أما فى الطبيعة الجديدة التى أخذناها من الرب فإننا نقول :

ليس موت لعبيدك ، بل هو انتقال ...

حقاً إنك باركت طبيعتى فيك ، ولم يعد الموت يخيفنا ، إذ لم تعد له سيطرة علينا . شوكته قد انتهت ، بعد أن ألغاها السيد الرب بالقيامة . وكأننا حينما نسمع كلمة الموت ، « نموت من الضحك » قائلين له « أين شوكتك يا موت » . **وإذ بارك الرب طبيعتنا فيه ، أصبحنا نسخر من الشيطان ودولته .** وماذا أيضاً ؟



وكما قال الرسول «إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو ٥ : ١٧) . لقد خلعنا الإنسان العتيق مع أعماله ولبسنا الجديد (كو ٣ : ٩) . وما هو هذا الجديد الذى لبسناه . يقول الرسول :

لأن جميعكم إعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح (غل ٣ : ٢٧) .

أى مجد هذا ؟ حقاً يارب ، لقد باركت طبيعتى فيك... أرجعتنا إلى صورتنا الإلهية، وأصبح إنساننا الجديد هذا يتجدد حسب صورة خالقه (كو ٣: ٩). أصبحت طبيعتنا مؤهلة لأن يحل فيها الروح القدس، وبحلوله نلبس قوة من الأعالى. وكما قال الرب:

ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم (أع ١ : ٨) .

وهذه القوة هى من سمات الطبيعة الجديدة ، وبها نستطيع أن نشهد للرب . وبها لا نخاف الخطية ، ولا نخاف الشياطين ، ولا نخاف الموت . لقد أصبحت الطبيعة البشرية شيئاً آخر بعد أن باركها المسيح .

ولذلك نقرأ عن أشياء عجيبة فى الأصحاح السادس من رومية :

إنساننا العتيق قد صُلب . دُفن بالمعمودية (رو ٦ : ٦ ، ٤) .

« متنا عن الخطية » ، « ليبطل جسد الخطية » ، « كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » ، « هكذا نسلك فى جدة الحياة » (رو٦: ٢-٦) .

هذه هى الطبيعة الجديدة ، التى باركها المسيح فيه ، التى خلصها من كل أخطائها ، وغسلها فى المعمودية ، لتبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . لذلك حسناً بشر الملاك بالميلاد قائلاً «أبشركم بفرح عظيم . إنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب» (لو٢ : ١٠ ، ١١) .

ما هو هذا الخلاص الذى نلناه فى التجسد الإلهى ؟

خلصنا من عقوبة الخطية ، من نتائجها ، من الموت ، من الدينونة... ولكن هل الخلاص من هذا فقط ؟! كلا بلا شك . لأنه لو خلصنا من عقوبة الخطية وترك طبيعتنا كما هى فاسدة ، تسيطر عليها الخطية مرة أخرى ، وبالخطية الموت ، لقلنا ما الذى استفدناه . ولكن السيد الرب عمل معنا ما هو أعظم :

فكما خلصنا من عقوبة الخطية ، خلصنا من فساد الطبيعة البشرية .

خلصنا من الفساد . هذا هو الأهم . صلب إنساننا العتيق . أماته . لم يعد للشيطان سلطاناً علينا ، بل أعطانا سلطاناً على جميع الشياطين (مر ٣ : ١٣ ، مت ١٠ : ١) . أصبحت طبيعتنا لها سلطان على الأرواح النجسة . وأعطى هذا العربون للتلاميذ أولاً ...

لبست طبيعتنا المسيح (غل ٣ : ٢٧) فلبست القوة والقداسة .

لبست المسيح فى المعمودية . والمسيح غلب العالم . وهكذا لبست أنت هذه الغلبة التى فى المسيح يسوع ، كما لبست البر الذى فى المسيح يسوع ، ولبست القوة التى بها هزم الشيطان وهزم الموت... هذه هى البركة العظمى التى نالتها طبيعتنا ، لما جددها الرب مرة أخرى .

بارك المسيح طبيعتنا ، بأن خلصها من كل سقطاتها .

كيف كان ذلك ؟ وما هى السقطات التى خلصها منها الرب ؟

لقد أمسك السيد بكل نقاط الضعف ومواطن السقوط فى هذه الطبيعة ، وهزم الشيطان فيها ، ووضع أنفه فى الكبرياء ، وأراه هذه الطبيعة البشرية منتصرة فى كل ميدان ، ومستعيدة صورتها الإلهية .

بالطاعة الكاملة للآب ، خلص طبيعتنا من سقطة العصيان .

سقطت الطبيعة البشرية فى العصيان ، وخالفت الرب ، وتمادت فى المخالفة إلى أقصى حد . فجاء المسيح بهذه الطبيعة ، وأعطاها أن تطيع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٨) ، وأن تقول لله الآب «لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك» (لو ٢٢ : ٨) ، «لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت» (مر ١٤ : ٢٦) ، وقال أيضاً «لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يو ٥ : ٣٠) ، «لأنى قد نزلت من السماء ، ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى» (يو ٦ : ٣٨) . وقال أيضاً «طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله» (يو٤ : ٣٤) .

وعلمنا أن نقول للآب فى صلواتنا : لتكن مشيئتك .

وهكذا قدم السيد المسيح صورة للطبيعة البشرية المطيعة لله ، الذى طعامها أن تفعل وصاياه ، ومشيئتها هى مشيئته . وبذلك صحح الخطأ القديم الذى شوّه الطبيعة البشرية منذ آدم وخلال كل العصور...

وفى هذه الطبيعة التى باركها ، هزم الشيطان بطريقتين :

هزمه بالضربة القاضية على الصليب . وغلبه كذلك بالنقط ، بنجاح على طول الخط ، خلال كل فترة تجسده على الأرض . ولم يعطه مطلقاً أية فرصة . وأراه أن الطبيعة البشرية التى باركها ، يمكن أن تنتصر عليه .

هذا من جهة الشيطان . أما من جهة الله الآب ، فقد أرضاه فى التجسد ، إذ قدم له الطبيعة البشرية طائعة له حتى المنتهى. فكان بذلك رائحة سرور للرب ، ليس فقط كذبيحة محرقة ، أو كذبيحة خطية ، فوق الصليب ، إنما أيضاً :

كان أيضاً رائحة سرور للآب ، فى حياته المقدسة .

ناب عن البشرية فى تقديم رائحة السرور هذه لله الآب ، فى حياة **طاهرة** ، كاملة فى طهارتها وبرها وقداستها وطاعتها ...

وبهذا أوجد صلحاً بين الآب والبشرية . وكأنه يقول لله الآب : أنا أريد أن أصالحك مع هؤلاء . هم أغضبوك بعدم الطاعة . وأنا بالنيابة عنهم سأقدم **لك هذه** الطاعة كرائحة سرور أمامك .

وبهذا حقق السيد المسيح ثلاثة أهداف بعمل واحد .

وهذا العمل الواحد هو حياته المقدسة . وأما الأهداف الثلاثة فهى :

أ - حطم أسطورة الشيطان المنتصر ، إذ هزمه وأذل كبرياءه .

ب - أرضى قلب الآب بتقديم الطاعة الكاملة له من الطبيعة البشرية .

ج - رفع معنويات الإنسان . وكيف ذلك ؟

كما رفع داود معنويات الجيش كله ، بهزيمته لجليات .

كان كل أفراد الجيش خائفين من ذلك الجبار ، شاعرين بصغر نفس **أمامه** ، معترفين عملياً وفكرياً بأنهم عاجزون أمامه . فلما ضربه داود وهزمه ، **إرتفعت** معنويات الكل ، وأدركوا أن غير المستطاع عند الناس ، هو مستطاع عند **الله** (مر ١٠ : ٢٧) . وأدركوا أيضاً أن الله لا يتخلى عن أولاده ، وإنما يقودهم فى **موكب** نصرته . وهكذا فعل المسيح فى تجسده ، إذ رفع معنويات الطبيعة البشرية ، **وأشعرها** أن الإنتصار سهل وممكن أمامها ...

وظهر الإنتصار واضحاً فى التجربة على الجبل ...

إنتصار على المادة والأكل ، الأمر الذى وقع فيه أبوانا الأولان ...

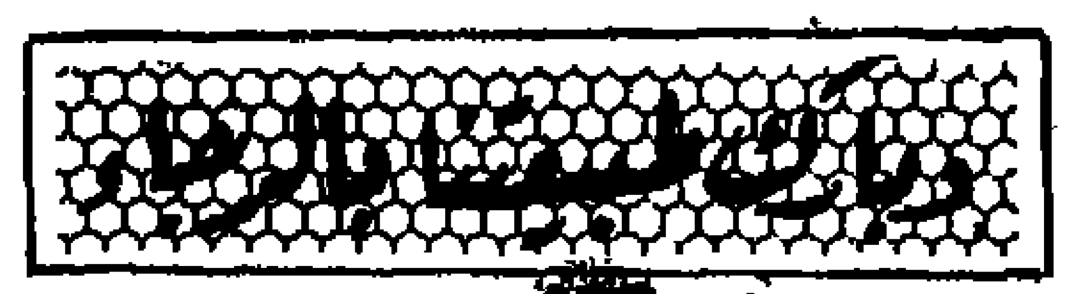
وانتصار على الكبرياء ومحبة المناظر ، برفض منظر أن تحمله الملائكة ، **ورفض** الملك والسيادة ، ورفض استخدام سلطانه كإبن الله لتحويل الحجارة إلى خبز... **وإذا** بالطبيعة البشرية التى سقطت حينما أرادت أن تصير مثل الله (تك ٣ : ٥) ، **أصلح**

الرب مسارها ، حينما « أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان » (فى ٢ : ٧) .

وهكذا بارك الطبيعة بالإتضاع ، فخلصها من الكبرياء .

خلصها من حب العظمة الذى وقع فيه الشيطان حينما قال « أصير مثل العلى » (أش ١٤ : ١٤) ، والذى أراد أن يوقع به الإنسان حينما قال لأبوينا الأولين « تصيران مثل الله عارفين الخير والشر » (تك ٣ : ٥) .

وصار الإتضاع بركة ، من يعيش فيه ، يكون فى صورة الله المتضع .



أعطاها نعمة الرجاء مهما كانت خطيتها . لأن الشيطان كان يحارب باليأس أيضاً ، كما أهلك به يهوذا الإسخريوطى... يهوذا هذا الذى ندم على ما فعله ، وأرجع المال وقال « أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً » (مت ٢٧ : ٤) ، عاد الشيطان فأسقطه فى اليأس ، فى خطيته قطع الرجاء ، فمضى وخنق نفسه (مت ٢٧ : ٥)... كيف بارك المسيح طبيعتنا ، وحصنها ضد اليأس :

باركها بالرجاء وعدم اليأس ، بقبوله اللص اليمين .

قبل إليه هذا اللص ، الذى استمر فى شروره إلى آخر ساعات حياته ، إذ كان يعير الرب على الصليب مع اللص الآخر كما يروى معلمنا مرقس الإنجيلى (مر ١٥ : ٣٢) . ولكن اللص اليمين عاد فاستجاب لعمل النعمة فيه ، وبكت اللص الآخر ، واستحق أن يسمع من الرب عبارة « اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٤٣) . وهكذا خلص اللص أخيراً ، وأصبح مثالاً لمباركة الطبيعة البشرية بعمل الرجاء فيها مهما كانت الظروف المحيطة .

فهل من مثال آخر إلى جوار مثال اللص ؟ نعم هناك مثال :

بطرس الذى أنكر المسيح ، كان مثالاً آخر للرجاء .

كان يمكن أن ييأس ، وبخاصة لو ركز على قول الرب « من ينكرنى قدام الناس ، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٣) . ولكن الرب الذى قال هذا ، هو نفسه الذى قبل بطرس إليه ، بل أعاده إلى رتبة الرسولية بقوله له بعد القيامة « إرع غنمى . إرع خرافى » (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦) .

حقاً إن الرجاء بركة عظيمة بوركت بها طبيعتنا .

فاليأس هو لعنة تورث الحزن ، وتورث الهلاك . أما نحن فى بركة الرجاء ، نعيش حسب وصية الرسول «فرحين فى الرجاء» (رو١٢ : ١٢).

وأولاد الله فى هذه الطبيعة التى تباركت بنعمة الرجاء ، ينطبق عليهم قول أشعياء النبى «وأما منتظرو الرب ، فيجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (أش ٤٠ : ٣١).

الله يعطى رجاء ، حتى لطبيعة العاقر التى لم تلد (أش ٥٤ : ١) .

إذن فلنعش فى الرجاء ، وفى انتظار ملكوت الله . ولا يقل أحد مهما كانت خطيئته : لا فائدة من إصلاحى. إن طبيعتى هكذا...!

وإن طبيعتى هكذا!

لا تيأس من طبيعتك . إنما سبح الرب بعبارة «باركت طبيعتى فيك» .

لقد بارك الرب طبيعتك فى نواح متعددة ...

باركها فى المعمودية ، حينما صلب فيها الإنسان العتيق ووهبها جدة الحياة (رو ٦). كما وهبها البنوة لله (يو٣: ٣- ٥). وباركها فى المسحة المقدسة بحلول الروح القدس، وباركها بالتطهير المستمر فى سر التوبة. وباركها بالتناول من الأسرار المقدسة، وبنعمة الثبات فيه (يو٦: ٥٦).

لقد باركها وقدسها ، وأعطاها المواهب والمواعيد .

بررها الله وقدسها ، لتكون مشابهة لصورة إبنه، ويمجدها أيضاً (رو ٨ : ٢٩، ٣٠). وأهلها للمواهب. وما أجمل أن نضع أمامنا صورة يوحنا المعمدان الذى وهو جنين إمتلأ من الروح القدس (لو ١ : ١٥). وارتكض فى بطن أمه للقاء المسيح، وامتلأت أمه من الروح القدس (لو ١ : ٤١). وماذا عن طبيعتك أيضاً فى مباركة الرب لها ؟

وقدس الرب طبيعتنا فى كل مراحل العمر :

قدس الطفولة لما مرّ بهذه المرحلة . وقدس الفتوة وهو فتى . وقدس مرحلة الشباب وهو شاب ، ومرحلة الرجولة وهو رجل . وقيل عنه أنه كان ينمو، وكان

يتقدم... (لو ٢ : ٥٢). وهكذا قدم لنا مثالية فى كل مرحلة من مراحل العمر تمر بها طبيعتنا.

وكذلك قدس طبيعتنا فى كل الظروف.

قدس مواجهة العدو، لما أتوه للقبض عليه، فواجههم وقال لهم «أنا هو» (يو ١٨ : ٥، ٦). وقدس البعد عن الشر بالهروب إلى مصر.

قدس الإحتمال لما احتمل ظلم الأشرار. وقدس الجدل البناء لما جادل الكتبة والفريسيين والصدوقيين. قدس الصمت لما صمت. وقدس الكلام لما تكلم. وإذا بطبيعتك البشرية يا أخى تتبارك فى كل عمل. وماذا أيضاً؟

نالت طبيعتك نعمة البنوة

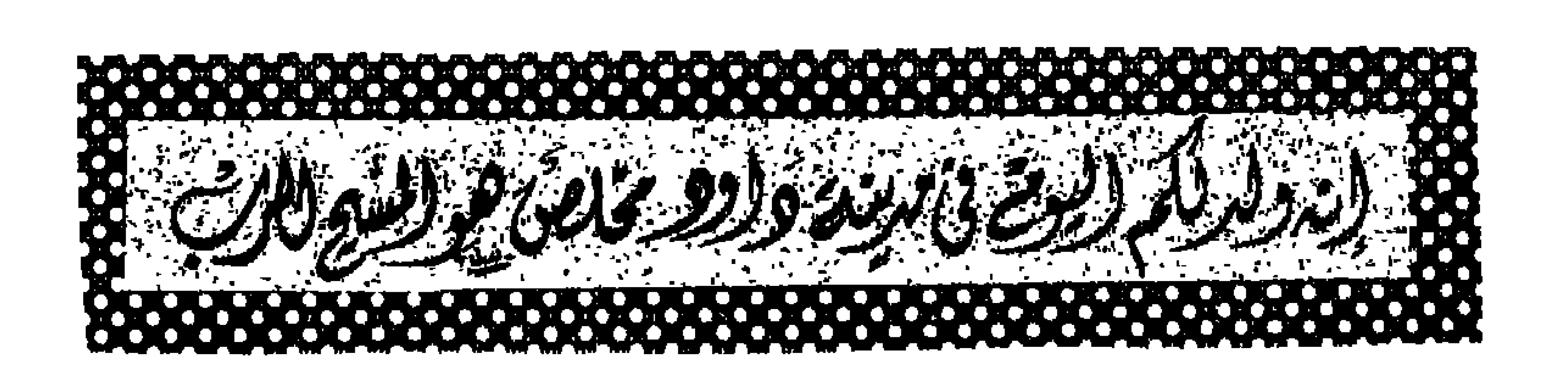
فالذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (يو ١ : ١٢). والقديس يوحنا الحبيب يتغنى بهذا الأمر فيقول «أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله» (١يو٣ : ١).

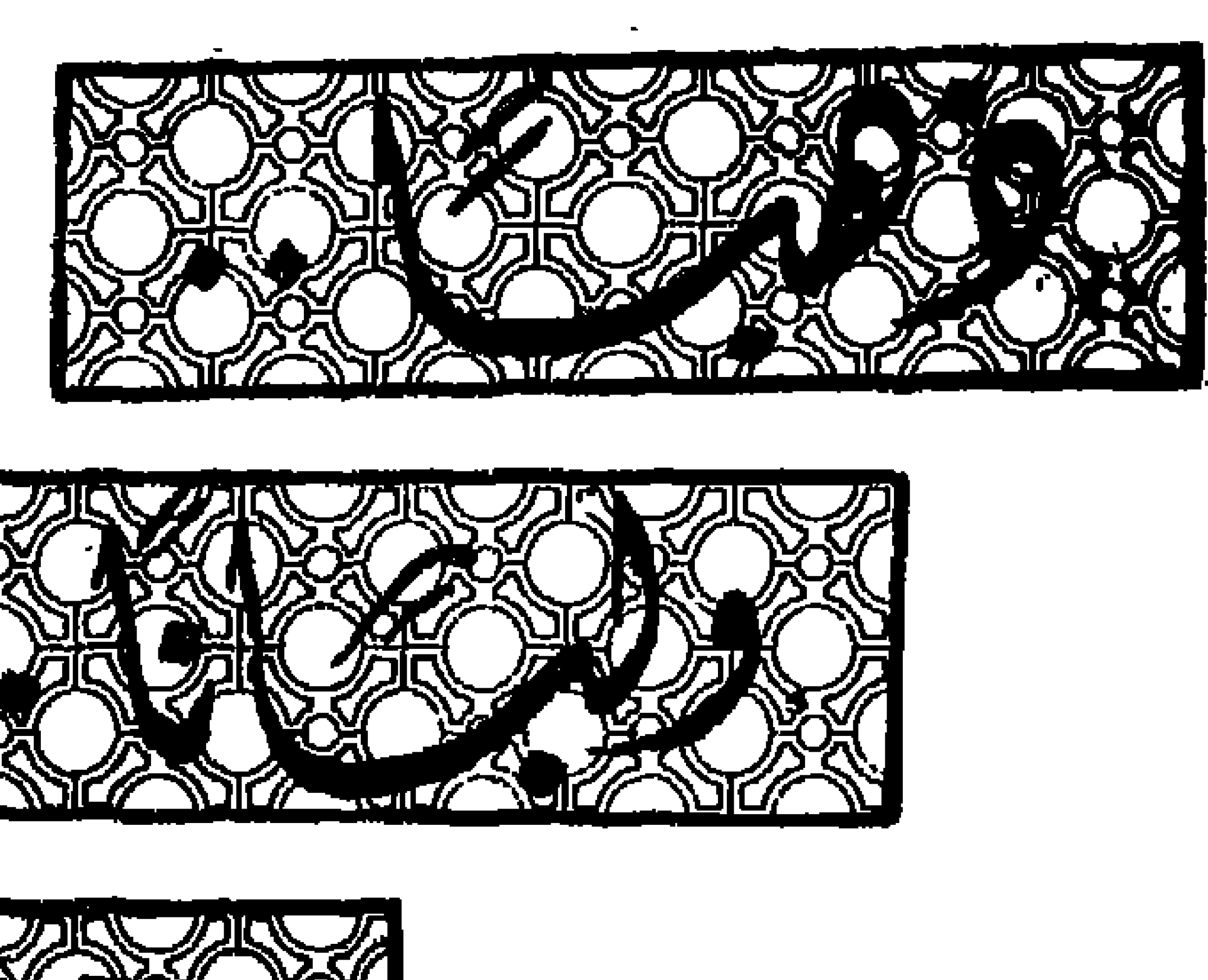
والبنوة تصحبها أيضاً المواعيد، والميراث والبركات... وهذا موضوع طويل لست أرى الوقت متسعاً له... ولكنى أقول:

كل هذه البركات هى من ثمار التجسد الإلهى.

ومن ثمار الفداء الذى كان هدف التجسد أيضاً.

وفى هذه البركات يقول لنا الرب «لا أعود أسميكم بعد عبيداً بل أحباء» (يو ١٥ : ١٥). له المجد فى محبته من الآن وإلى الأبد آمين.







الذهب ..

اللبان ..

المرّ ..

هذه الثلاثة معًا .

ألقيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ١١ / ١ / ١٩٨٠

بسم الآب والإبن والروح القدس ـ الإله الواحد آمين

المخلوق يقدم للخالق !

مع أن الله هو المعطى ، والمعطى للكل ، لأنه مصدر كل خير، إلا أننا كثيراً ما نرى المخلوق يعطى للخالق ! ففى قصة الميلاد قدم المجوس للمسيح هدايا ذهباً ولباناً ومراً .

ولم يكن المجوس الوحيدين الذين قدموا للمسيح .

فى معجزة إشباع الجموع قدم له طفل خمس خبزات وسمكتين...

وفى قصة القيامة نرى النسوة قد قدموا له الحنوط والأطياب ، بينما يوسف الرامى قد قدم له مقبرته الجديدة كى يدفن فيها .

والمرأة الخاطئة قدمت دموعها وشعر رأسها لتمسح قدميه . و يوحنا الحبيب قدم رأسه لتتكىء على صدر المسيح... ومريم العذراء قدمت كل شىء...

وفى العهد القديم نرى كثيرين قدموا تقدمات للرب ...

وأول إنسان ذكر الكتاب أنه قدم للرب شيئاً هو هابيل الصديق، الذى قدم له محرقة « من أبكار غنمه ومن سمانها » (تك ٤) .

وإبراهيم أبو الآباء ذهب ليقدم إبنه الوحيد . وكثيرون غيره قدموا تقدمات . وكانت هذه التقدمات تسمى أيضاً (قرابين) .

سميت قرابين ، لأنهم يتقربون بها إلى الله .

وكثرت فى العهد القديم الذبائح والمحرقات والتقدمات والقرابين . وكان الله يقبلها ، إن كانت من قلب نقى... وفى الأصحاح الأول من سفر أشعياء النبى ، رفض الله التقدمات التى قدمها الأشرار لأن أيديهم ملآنة دماً (أش ١ : ١١- ١٥) . ولكن لماذا قبل الرب تقدمات القديسين ؟

كانت تعبيراً عن الحب وتقديم القلب لله .

وكانت تحمل أحياناً شعور الإنسحاق والإعتراف بالخطية ، كما فى ذبائح الخطية وذبائح الإثم والمحرقات التى قدمها أيوب عن أبنائه (أى ١ : ٥) .

ونحن نقف فى عجب ، حينما نرى المخلوق يقدم شيئاً للخالق... !

فالخالق يملك كل شىء . وكل ما يملكه الإنسان هو من عنده...

ولكن الأعجب أن الخالق ، كان هو الذى يطلب !

فهو الذى قال عن خليقته : « ولا تظهروا أمامى فارغين » (خر ٢٣ : ١٥) . وهو الذى وضع شرائع العشور والبكور والنذور... والبخور... وهو أيضاً وضع الشرائع الخاصة بالذبائح والمحرقات...

وفى كل ذلك لم يكن يريد هذه التقدمات فى ذاتها ، إنما كان يريد القلب ، وما يحمله من مشاعر حينما يقدم شيئاً . لذلك قال « يا إبنى أعطنى قلبك » أى أعطنى حبك...

إن كانت تقدماتك خالية من الحب ، فأنت لم تقدم شيئاً .

أما إن قدمت حبك ، فحينئذ تكون قد قدمت كل شىء .

وكل ما تقدمه بعد ذلك ، يكون نابعاً من الحب ، سواء كان شيئاً مادياً كالعشور، ولكن وراءه المحبة والشفقة والحنو... أو كان تقدمة روحية كالصلاة، وفيها أيضاً الحب والإشتياق إلى الله...

مشاعرك وأنت تقدم ، أهم مما تقدمه ...

فافحص إذن مشاعرك ، وتأكد من نقاوتها ، وتأكد من عاطفة الحب فيها . وثق أن الله هو فاحص القلوب ، و يعرف داخلك تماماً ، لذلك هو يقبل منك إن كانت مشاعر القلب سليمة .

إن الله لا تهمه الكثرة أو القلة فيما تعطيه ، إنما يهمه قلبك ، لذلك ذكر أن التى أعطت الفلسين قد أعطت أكثر من الجميع ، لأنها أعطت من أعوازها ، وفضلت الله على نفسها...

ولنتأمل هذا أيضاً فى تقدمة المجوس ...

هؤلاء المجوس الذين أتوا إلى السيد المسيح من بلاد بعيدة ، جاءوا إليه عن حب : ساروا المسافات الطويلة حتى وصلوا إليه . ومن أجله دخلوا فى بلاد غريبة عليهم ، تعرضوا فيها للموت والهلاك ، إذ كان ممكناً أن يغدر بهم هيرودس الملك أو بعض أتباعه...

كانوا مشتاقين إلى الرب ، تواقين لرؤية هذا المولود الذى دلهم عليه النجم . وقد ملك هذا الإشتياق كل قلوبهم ، فسعوا إليه لا يفكرون إلا فيه . من أجل هذا إستحقوا أن يروه ، ويقدموا له عاطاياهم عن حب وعن إيمان . وماذا أيضاً .

المعروف فى قصة الميلاد أن المجوس قدموا للسيد المسيح هدايا : ذهباً ولباناً ومراً (مت ٢ : ١١) .

وكانت لهذه الهدايا رموز فى قصة الميلاد الإلهى :

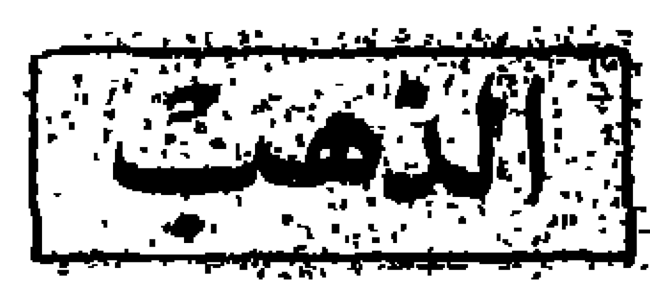
كان الذهب يرمز إلى السيد المسيح كملك ، لعظمته .

وكان اللبان يرمز إليه ككاهن (لاستخدام اللبان فى البخور) .

وكان المر يرمز إلى آلامه من أجلنا .

غير أننا نريد أن نعرف رموز هذه الأشياء فى حياتنا .

هل فى حياتك الخاصة تقدم للرب هدايا من هذا النوع ، تقدم نفسك للمسيح ، وتقدم فيها ذهباً ولباناً ومراً ...؟ وإن كان الأمر كذلك ، فإلى أى شىء يرمز كل واحد من هذه الثلاثة ، فى حياتك الخاصة ؟



الذهب يرمز إلى الشيء الثمين ، ويرمز إلى النقاوة .

ولذلك نرى كيف كان الذهب مستخدماً فى الهيكل فى العهد القديم .

كان تابوت العهد مغشى بالذهب النقى من الداخل والخارج ، وغطاؤه من ذهب نقى ، والكاروبان اللذان عليه من الذهب أيضاً (خر٣٧ : ٢ ، ٦ ، ٧) . وكانت المائدة مغشاة بالذهب النقى ، والأوانى من الذهب النقى (خر ٣٧ : ١١ ، ١٦) . وكانت المنارة من ذهب نقى (خر٣٧ : ١٧) .

ومذبح البخور كان مغشى بذهب نقى ، وله إكليل من ذهب حواليه ... (خر ٣٧ : ٢٦) . والمجامر يقول عنها سفر الرؤيا أنها كانت من ذهب (رؤ ٥ : ٨) وكذلك كانت فى العهد القديم (عب ٩ : ٤) .

كل هذا كان رمزاً إلى عظمة الخدمة ونقاوتها .

والسيدة العذراء كانت تشبه أيضاً المجمرة الذهب ، وبتابوت العهد المغشى

بالذهب من الداخل والخارج ، رمزاً إلى عظمة العذراء ونقاوتها . وكانت العذراء تشبّه أيضاً بقسط المن الذى هو من ذهب أيضاً (عب ٩ : ٤) .

فهل نفسك أيضاً غالية ، يرمز إليها بالذهب ؟

هل نفسك التى تقدمها للمسيح ، هى من النفوس الغالية الثمينة التى يرمز إليها الذهب ؟ وهل هى فى نقاوتها مثل الذهب النقى ، مثل تابوت العهد المصفح بالذهب من الداخل والخارج ؟

هل نفسك غالية وثمينة بالنسبة إلى كل المحيطين بها ، بالنسبة إلى الكنيسة وإلى المجتمع ؟ وغالية عند الله نفسه ؟ تقدمها لله من ذهب نقى ، لا شوائب فيها ... ليتك كلما تنظر إلى نفسك ، تتذكر النفوس الغالية عند الله ...

تأمل معى بعضاً من هذه النفوس الغالية الثمينة ...

يوحنا المعمدان مثلاً ، الذى كان غالياً عند الله ، حتى أنه من بطن أمه إمتلأ من الروح القدس ، وقيل عنه إنه كان عظيماً أمام الرب (لو١ : ١٥) .

والطفل موسى ، الذى كانت نفسه غالية عند الله ، حتى أنه أرسل إليه فى طفولته أميرة لتنتشله من الماء ، وتدعوه إبنها ، وتهتم به اهتماماً خاصاً (خر ٢)... موسى الذى دافع عنه الله بكل قوة وحب ، لما تكلمت عليه مريم وهرون (عدد ١٢) .

ويوحنا الحبيب ، كان نفساً غالية عند الرب ، حتى سمح له أن يتكىء فى حضنه (يو١٣ : ٢٣) .

وكالمعمدان وموسى ويوحنا الحبيب ، كان أبونا إبراهيم .

هذا الذى دعاه الله وباركه وجعله بركة (تك ١٢) . ودافع عنه لما أخذ أبيمالك سارة زوجة إبراهيم . فهدد الرب أبيمالك بالموت . وقال له « رد إمرأة الرجل ، فإنه نبى ، فيصلى لأجلك فتحيا » (تك ٢٠ : ٧)... إبراهيم الذى سمح له الله أن يناقشه قبل حرق سدوم (تك ١٨) ، كما سمح لموسى أن يناقشه لما أراد إفناء الشعب (خر٣٢)...

ويعوزنى الوقت إن تحدثنا عن النفوس الغالية .

التى كانت ثمينة جداً عند الله ، حتى أنه دعاها وبررها وقدسها ، وكان يقبل

شفاعتها فى غيرها ، وكان يجعلها هيكلاً يحل فيها روحه القدوس ... النفوس التى ائتمنها الرب على المواهب ، وائتمنها على رعاية شعبه ، أو على رسالات يوصلونها إليهم ... والنفوس التى كان يرسل لها الله ملائكة لخدمتها ، أو لإنقاذها ...

فهل نفسك هى من هذه النفوس الغالية ؟

الذى يشعر أن نفسه غالية ، لا يفسدها ...

إن كانت نفسك غالية عند الله والناس ، حافظ عليها ، ولا تتسبب فى هلاكها وضياعها ، ولا تسمح أن تفقد نقاوتها وتفقد صورتها الإلهية . لتكن باستمرار ذهباً خالصاً نقياً مثل منارة الذهب ، والمجمرة الذهب ، وتابوت العهد ...

إن المجوس لما قدموا للرب ذهباً ، قدموا أثمن ما عندهم .

فهل أنت أيضاً تقدم أثمن ما عندك للرب ؟

وأثمن ما عندك هو قلبك . فهل تقدمه للرب ؟

وهل تقدم للرب أيضاً من أعوازك ، كما قدمت الأرملة التى امتدح الرب عطاءها ؟ هل أنت لا تبخل على الله بشيء مهما كان ثميناً عندك ؟ حتى إبنك الوحيد تكون مستعداً لتقديمه كما فعل أبونا إبراهيم لما طلب منه الرب وحيده اسحق ؟

أنت تقدم أثمن ما عندك من ذهب ، وأيضاً تقدم لباناً ...



اللبان

اللبان يرمز إلى الكهنوت وإلى العبادة ...

يرمز إلى الكهنوت ، لأن اللبان هو حبات البخور التى توضع فى المجمرة . وتقديم البخور هو من عمل الكهنة فقط (خر ٣٠ : ٨) .

وبخور اللبان يرمز إلى العبادة أيضاً ، كما يقول المرتل « فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك . وليكن رفع يدى كذبيحة مسائية » (مز ١٤١ : ٢) .

وقيل عن البخور فى سفر الرؤيا إنه صلوات القديسين .

صلوات القديسين هى بخور ذكى الرائحة ، صاعد إلى الله ...

فالأربعة والعشرون كاهناً ، كانوا يحملون جامات من ذهب « مملوءة بخوراً هى

صلوات القديسين » (رؤ ٥ : ٨). وحبات اللبان حينما توضع فى النار، تتحول إلى بخور أو دخان تذكرنا بصلوات القديسين، هذه الصلوات التى تتعطر بها الكنيسة المقدسة كما قيل عنها فى سفر نشيد الأناشيد :

« **كأعمدة من دخان، معطرة بالمر واللبان** » (نش ٣ : ٦).

والمر واللبان ، هما كلاهما من الهدايا التى قدمها المجوس للرب فى يوم ميلاده. فهل نفسك التى تقدمها لله تكون معطرة بها أيضاً، كما هى ثمينة كالذهب، وهكذا تجمع التقدمات الثلاثة معاً...

هل نفسك تصعد كرائحة بخور أو لبان أمام الله ؟

تقدم رائحة زكية ، يتنسم منها الله رائحة الرضا (تك ٨ : ٢١).

وهل صلواتك أيضاً تصعد كرائحة بخور، فى عطرها وفى حرارتها ؟

هل أنت لبان؟ وإن كنت لباناً، كيف تتحول إلى بخور؟

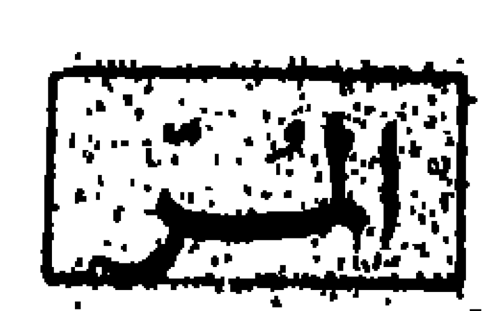
البخور هو لبان محترق ، لبان دخل المجمرة .

إنه لبان دخل إلى النار، نار الله المقدسة، إشتعلت فيه، واستسلم هو لها، فتحول إلى بخور. فهل أنت قد دخلت إلى النار من أجل الله ؟ وهل تحولت فيها إلى « محرقة بخور» حسب تعبير الكتاب ؟

والبخور (اللبان المحترق) يعتبر ذبيحة، كانت تقدم إلى الله على مذبح البخور (خر ٣٧ : ٣٥).

فهل أنت تقدم حياتك كلها، وليس مجرد صلاتك، كذبيحة لله ، كمحرقة بخور؟ ليتك فى هذا تستمع إلى قول الرسول «أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله ، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة، مرضية عند الله عبادتك العقلية» (رو ١٢ : ١).

نفسك الثمينة يمثلها الذهب . وعبادتك النقية يمثلها اللبان المحترق كبخور. فماذا عن المرّ إذن ؟



المر هو رمز للألم . وهو أيضاً عطر .

المر نوع من العطور . هو عطر سائل . ولذلك قيل فى سفر النشيد « معطرة بالمر

واللبان» (نش ٣ : ٦). وقالت عذراء النشيد «قمت لأفتح لحبيبى، ويداى تقطران مراً، وأصابعى مر قاطر على مقبض القفل» (نش ٥ : ٥). وفى سفر استير قيل إن الملكات «كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر» (اس ٢ : ١٢). وقيل عن عطر المر فى سفر المزامير «المر والميعة والسليخة من ثيابك» (مز ٤٤).

الكنيسة تصعد إلى الله، معطرة بالمر.

« معطرة بالمر واللبان ، وكل أذرة التاجر»... صلواتها ، التى هى لبان محترق ، هى عطر أمام الله ، رائحة بخور. وآلامها التى يرمز إليها المر، هى أيضاً عطر. وهذا هو ما نعرفة عن المر:

المر فى رائحته عطر، وفى مذاقته مر.

وهذا يعطينا فكرة جميلة عن الألم الذى يرمز إليه المر... انه فى نفس الوقت عطر... أى أن الآلام لها رائحة زكية أمام الله ، فتتعطر الكنيسة بآلامها حينما تقف أمام الله . ويتنسم الله من آلامها رائحة الرضا .

ليتنا نتأمل هذا التعبير : الكنيسة تتعطر بالآلام .

هكذا كان الشهداء والمعترفون ، آلامهم هى عطورهم ، تفوح منها رائحة جميلة أمام الله والناس... وهكذا أيضاً كانت كل الآلام التى تحملها الخدام فى الخدمة .

ولذلك قال الرب عن أكاليل بولس الرسول « سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل إسمى» (أع ٩ : ١٦). لا يكفى إذن أن تكون لباناً ، إنما تكون لباناً عطراً ، معطراً بالمر، تتحمل الألم لأجل الرب ، تمشى فى الطريق الكرب ، وتدخل من الباب الضيق (مت ٧ : ١٤). وبضيقات كثيرة ينبغى أن ترث ملكوت الله (أع ١٤ : ٢٢) .

ونحن لا يمكن أن نستقبل المسيح بغير المرّ .

حتى السيدة العذراء نفسها ، بكل محبتها لله ، وبكل محبة الله لها ، قيل لها « وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف » (لو٢ : ٣٥) .

وأصبح المر ليس فقط من سمات أولاد الله ، بل من الهبات التى يهبها الرب لنا ، إذ قيل لنا « وُهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) .

والسيد المسيح نفسه قدم لنا مثالاً للمر فى حياته .

ذاق المرارة طول حياته ، وبلغت أقصاها فى آلامه على الصليب . وعليه أيضاً قدموا له مراً ليشرب... وخروف الفصح الذى كان يرمز للسيد الرب فى عمله الفدائى و ورد فى الكتاب إنه يؤكل « على أعشاب مرة » (خر ١٢ : ٨) . وتقدمة الدقيق التى كانت ترمز لتجسد الرب ، ورد فى أوصافها أنه لا يكون معها عسل (لا ٢ : ١١) ، لأن العسل لا يتفق مع المر. بل قيل يوضع عليها اللبان (لا ٢ : ١٥) ، لأن اللبان يتفق مع المر...

والمسيحية لا يمكن أن تبعد عن المرّ ...

لا يمكن أن تبعد عن الصليب أو تنفصل عنه ، إن أرادت أن تكون لباناً وتصعد إلى الله كرائحة بخور. لا بد أن يكون المر معها « معطرة بالمر واللبان » ...

وإن أرادت أن تكون ذهباً خالصاً ، لا بد أن تكون مراً قاطراً .

هذه الثلاثة معاً

لا بد آن تجتمع هذه الثلاثة معاً فى حياة إنسان الله : يجتمع الذهب واللبان والمر. وسنرى أمثلة كثيرة لذلك :

فى حياة داود النبي ، نرى الذهب واللبان والمر .

كان فى حياته الذهب ، كملك ، كمسيح للرب ، إنسان نفسه غالية أمام الله ، فى حياته وبعد موته. وكثيراً ما كان الله يقول « من أجل داود عبدى » (١مل ١١ : ١٣) .

وفى حياة داود لبان ، نراه فى صلواته وفى مزاميره ، التى كانت كرائحة بخور...

وفى حياته أيضاً نرى المرّ : ذاقه من شاول الملك ، ومن أبنير رئيس الجيش و يوآب بن صروية ، وذاق هذا المر أيضاً من إبنه أبشالوم ، ومن شمعى بن جيرا ، ومن أعداء كثيرين حتى قال « يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى » (مز ٣) . وقال أيضاً « أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا سبب » (مز٦٩ : ٤) .

وأبونا إبراهيم كان فى حياته الذهب واللبان والمرّ .

الذهب فى حياته يظهر فى عظمته وغناه ، إذ هزم أربعة ملوك واستقبله فى رجوعه ملكان (تك ١٤) . كما كان عظيماً أيضاً فى نظرَ الله ، الذى اختاره ودعاه

وباركه (تك ١٢). والذى جعله بركة، وكان يقبل شفاعته (تك ١٨: ١٧-٣٢).

وفى حياة أبينا إبراهيم كان اللبان، ككاهن للأسرة، وكرجل قدم للرب خدمة المذبح وتقديم المحرقات... وفى حياته أيضاً كان المر، فى حياة الغربة التى عاشها، وفى حرمانه من البنين حتى شاخ، وفى تجربته، وفى ضيقاته من كثيرين...

حياة كل إنسان مع الرب، لا يمكن أن تكون ذهباً، إلا إذا كانت أيضاً لباناً ومراً.

وهذا الشرط لازم جداً، فاللبان والمر، هما الطريق الذى يسلكه الإنسان ليصير ذهباً أمام الله. وأمثلة هذه القاعدة كثيرة جداً فى الكتاب المقدس.

لنأخذ حياة القديس بولس الرسول كمثال:

مما لا شك فيه أن حياته صارت ذهباً، هذا القديس الذى صعد إلى السماء الثالثة ورأى أشياء لا ينطق بها (٢كو ١٢: ٤)... هذا الذى صنع به الله آيات وعجائب وقوات (٢كو ١٢: ١٢)، وتكلم بألسنة أكثر من الجميع (١كو ١٤: ١٨)، وبشر بالإنجيل فى أماكن متعددة، واختاره الرب ليكون رسول الأمم، ليحمل إسمه إليهم (أع ٩: ١٥)...

ولكنه لم يصر ذهباً، إلا بعد أن صار مراً.

فمن أول دعوته أراد الملك الحارث أن يمسكه، فدلوه من السور فى زنبيل ونجا منه (٢كو ١١: ٣٣). وكان فى الأتعاب أكثر من باقى الرسل، فى الضربات أوفر، فى السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة»، جُلد من اليهود خمس مرات، ثلاث مرات ضُرب بالعصى، مرة رجموه حتى ظن أنه مات، ثلاث مرات إنكسرت به السفينة... وعاش فى تعب وكد، فى جوع وعطش، فى برد وعرى... (٢كو ١١: ٢٣- ٢٧). وقضى حياته مع زملائه فى الخدمة «كمضلين... كمجهولين... كمائتين... كمؤدبين... كحزانى... كفقراء... (٢كو٦: ٨-١٠).

وفيما كان ذهباً ومراً، كان لباناً أيضاً.

كرئيس كهنة، كرسول، كأب لأساقفة من أمثال تيموثاوس وتيطس... كرجل عبادة وتأملات «فى أسهار، فى أصوام» (٢كو ٦: ٦)، فى حياة بلا لوم أمام الله والناس، لا يجعل نفسه عثرة فى شىء، لئلا تلام الخدمة (٢كو٦: ٣)...

وأنت ماذا تقدم للمسيح ، من ذهب ولبان ومر؟

ليس من هذه الأشياء المادية التى قدمها المجوس ، وإنما كيف تقدم حياتك كذهب؟ وكيف تقدم حياتك كلبان ومر؟ كي تفتح قلبك للمسيح ، و يداك تقطران مراً (نش ٥ : ٥) ، أى و يداك معطرتان بالمر فى كل ما تقدمه هاتان اليدان لأجله... عطر الآلام التى تتقدس بها نفسك أمام الله..

إن أجمل ما فى الحياة ، هو الألم لأجل الله .

الألم المقدس ، الذى يسر به الرب ، لأنه يدل على البذل النابع من الحب... مثل آلام الشهداء والخدام والكارزين... ولكنه ليس ألماً من حياة كلها حزن...! كلا ، بل كما قال الرسول عن آلامه وآلام زملائه « كحزانى ونحن دائماً فرحون » (٢كو٦ : ١٠) .

والسيد المسيح على الصليب ، كان ذهباً ولباناً ومراً .

كان مراً ، لأنه ذاق أقسى الآلام من أجلنا ، وحسب عاراً وخطية ، وأحصى مع الأثمة (أش ٥٣ : ١٢) . وكان على الصليب كاهناً يقدم ذبيحة عن خطايا العالم كله ، أعنى ذبيحة نفسه... وكان ملكاً ، لأنه قيل إن الرب ملك على خشبة (مز ٩٥) ، ملك وهو مسمر على خشبة الصليب ، حيث حطم كل مملكة الشيطان ، وأنقذنا من أسره ، فبدأ ملكوت الله بالفداء...

فإن أردت أن تملك معه ، إصعد على الصليب .

إصعد معه على الصليب ، وتألم معه لكى تتمجد معه (رو ٨ : ١٧) . إصعد معه على الصليب ، فهناك عرشه . ولا يمكن أن تملك معه ، إلا إذا كنت تغنى مع الرسول وتقول « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) .

فإن صعدت إلى الصليب مع المسيح ، وذقت المر معه ، حينئذ تملك معه . و يضع على رأسك إكليلاً من ذهب ، هو إكليل الملك . وتكون حياتك بخوراً يصعد إلى الله ، أى تكون لباناً أيضاً ، لباناً محترقاً فى نار الله المقدسة .

وفى صليبك تتحقق التقدمة الثلاثية فى حياتك . نعم هذه هى الصورة التى أحب أن تضعوها باستمرار أمام أعينكم ، صورة المسيح المصلوب .

صورة المسيح المصلوب ، هى صورة تقدمات المجوس .

ترى فيها الذهب واللبان والمر ، الملك والكهنوت والألم . فيها ترى المسيح الملك . وعلى صليبه لافتة مكتوب عليها « يسوع الناصرى ملك اليهود » ...

ولم تكن مملكته من هذا العالم ، إنما كانت أسمى من العالم ، إرتفع فيها عن الأرض وعن التراب ، روحياً وجسدياً . وعلى الصليب نكون ملوكاً معه ، لا بالمعنى الحرفى ، بل بالمعنى الروحى .

إذن حينما يطلب إليك أن تكون ذهباً ولباناً ومراً ، إنما يطلب إليك أن تصعد على الصليب .

والذى لم يصعد على الصليب ، لم يدخل المسيحية بعد .

لم يذق طعمها بعد ، لم يذق مرها وملكها ، لأن المسيحية صلب مع المسيح ، موت مع المسيح ، منذ المعمودية التى يقول عنها الكتاب « دُفنا معه فى المعمودية . متحدين معه بشبه موته ... عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه » (رو ٦ : ٤ - ٦)

وهكذا نستمر معه فى « شركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) .

شركة آلامه ، ليست فى المر فقط ، بل وفى اللبان والذهب .

واضحة جداً شركة الآلام فى المر . ولكن كيف تكون فى اللبان ؟

إن اللبان لا يمكن أن يصير بخوراً ، وتصعد رائحته إلى الله ، إلا إذا وضع فى النار ، إلا إذا دخل فى المجمرة واحترق . وتكون المجمرة بالنسبة إليه صليباً ، يختبر فيها الرب وشركة آلامه ... فماذا عن الذهب إذن ، الذى يرمز إلى الملك ؟

إن الإنسان لا يمكن أن يملك مع الرب ، إلا إذا تألم معه . لا يمكن أن يتكلل بأكاليل من ذهب ، إلا إذا تعب من أجل الرب « وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه » (١ كو ٣ : ٨) . وهكذا نجد أن شركة الآلام هى الطريق الى الذهب ، إلى الملك ، ومجد الأبدية .

صدقونى أنا متعجب من هؤلاء المجوس .

كيف استطاعوا أن يقدموا للرب تقدمات تحمل كل هذه الرموز ؟ لعلهم كانوا مسوقين فى ذلك بالروح القدس . ولعلهم صاروا فيما بعد شهوداً للمسيح فى بلادهم ، وحملوا إسمه كأول من آمن به من الأمم « وسجدوا له » (مت ٢ : ١١) .

فهل يقودك النجم مثلهم ؟ وهل تسجد معهم وتقدم ذهباً ولباناً ومراً ؟

وإن لم تستطع أن تقدم كل هذا :

على الأقل قدم شيئاً ، أى شيء ، قدم ما تستطيعه .

إن لم تستطع أن تقدم النفس كلها ، قدم مشاعر النفس . وعلى رأى القديس يوحنا ذهبي الفم حينما يقول : إن الله يجول طالباً سبباً لخلاصك . ولو دمعة تذرفها لأجله ، يأخذها الرب ، قبل أن يختطفها شيطان المجد الباطل ، ليكافئك عليها .

إذن قدم للرب شيئاً . قل له فى هذا اليوم :

أنت يارب قدمت من أجلى كل شيء .

ولم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك . من أجلى أخليت ذاتك . وقدمت هذه الذات على الصليب من أجلى . وأعطيتنى حبك كاملاً ، وأعطيتنى جسدك ودمك . وأقمت عهداً بينى وبينك ، فيه قدمت لى الخلاص مجاناً ... فعلى الأقل لا بد أن أقدم لك شيئاً مع هؤلاء المجوس .

وإن كان هؤلاء المجوس ـ وهم من الأمم الغرباء ـ قد عرفوا أن يقدموا كل هذه الهدايا العميقة فى رموزها ، فكم ينبغى أن تكون هدايانا نحن المخلصين بدمك ...

هناك كلمة جميلة يمكن أن تقال فى مناسبة الهدايا هذه ، وهى :

لا تقف أمام الله فارغاً ...

فقد قال الرب عن شعبه ، وبخاصة فى زمن الحصاد « لا تظهروا أمامى فارغين » (خر ٢٣ : ١٥) ... عجيب أن الرب وهو مالك السماء والأرض وكل شيء ، وهو مصدر الخيرات كلها ، يطلب منك ألا تقف أمامه فارغاً ، وإنما لا بد أن تقدم له شيئاً ، أى شيء . وحبذا لو قدمت له خير ما عندك ، كما قدم هابيل « من أبكار غنمه ومن سمانها » (تك ٤ : ٤) . وحبذا أيضاً لو قدمت له من أعوازك كما قدمت الأرملة (مر ١٢ : ٤٤) .

على أن أثمن ما تقدمه هو قلبك .

فكثيرون يقدمون للرب عطايا هى من خارج أنفسهم ، بينما نفوسهم ليست له ... !

أما الرب فيقول لكل من هؤلاء « يا إبنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) .

قلبك هو الذهب واللبان والمر . هو منبع المشاعر والعواطف كلها . وكل عطية

ليست من قلبك، أو لم يشترك فيها قلبك، ليست هى مقبولة أمام الله . إذن قدم من قلبك ما تستطيعه، مهما كان قليلاً، ما دمت تقدم فى جب .

والقليل الذى تقدمه ، سيكون ثميناً فى نظر الله .

ونحن نصلى فى أوشية القرابين من أجل «أصحاب الكثير، وأصحاب القليل» ، بل حتى من أجل «الذين يريدون أن يقدموا، وليس لهم» ... حتى مجرد هذه النية أو هذه الرغبة مقبولة أمام الله ...

قدم أى شيء ، ولا تخجل من قلته وضعفه .

قدم صلاة ولو فاترة . واطلب من الله أن يقبلها و يعطيك الحرارة .

قدم توبة ، ولو ضعيفة ومترددة. واطلب منه الثبات والقوة .

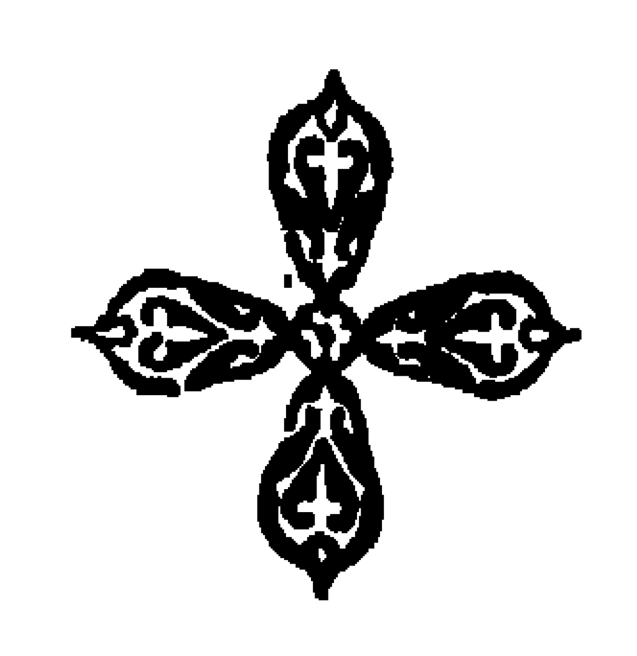
قدم ضعفك ، ليقويك . وقدم خلوك لكى يملأك. قل له :

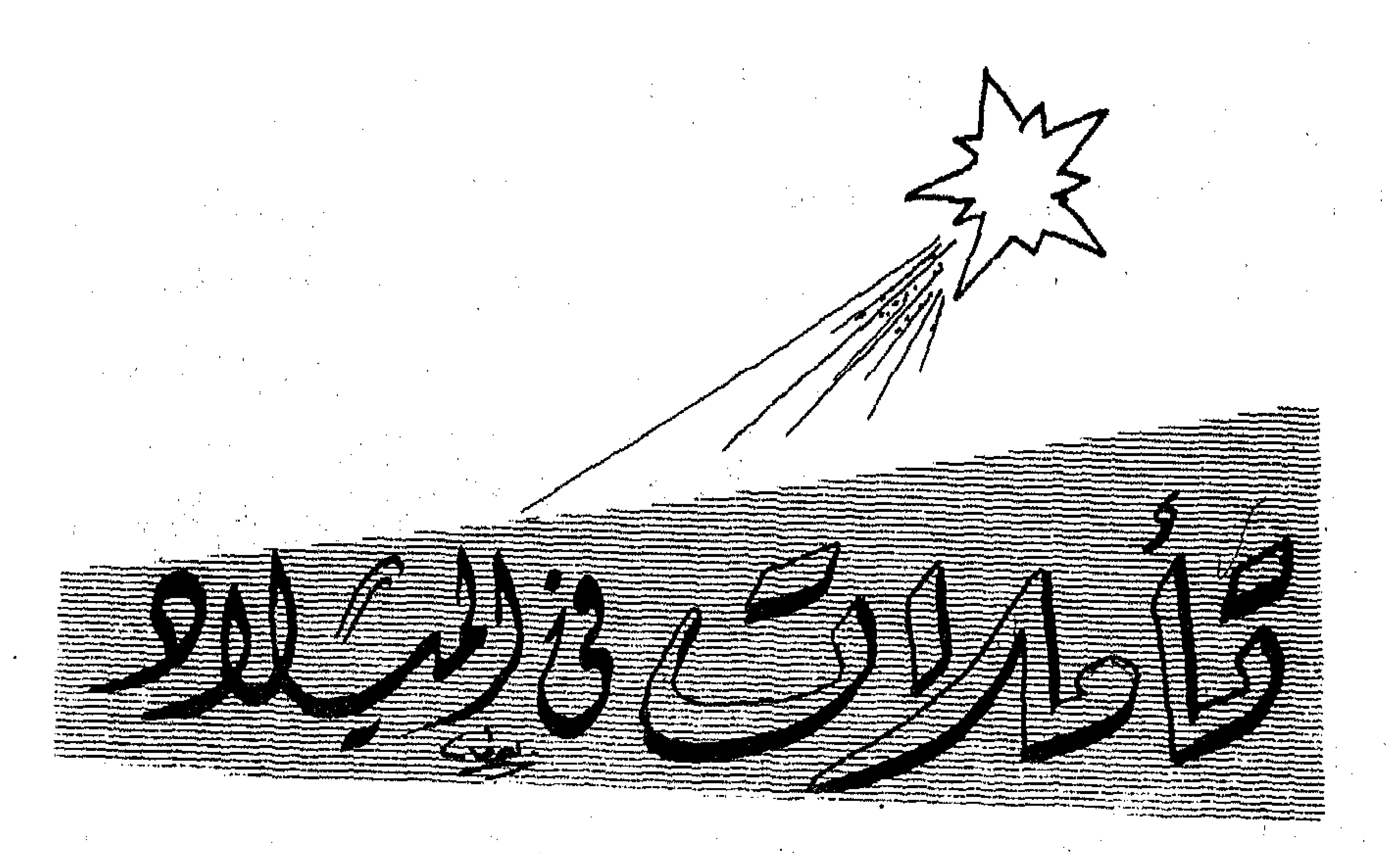
أنا يارب لا أملك ذهباً ولا لباناً ولا مراً .

لا أملك ما أقدمه لك مثل هؤلاء المجوس ... فعلى الأقل سأمشى معهم ، وأذهب إليك معهم، وأنظر إليك، ولو مجرد نظرة، و يدى فارغة. ولو مجرد نظرة تأسف واعتذار على فراغى... حينئذ سأجد يدي مملوءة ذهباً ولباناً ومراً، من عندك أنت . وحينئذ أقول لك:

« من يدك أعطيناك » (١ أى ٢٩ : ١٤) .

يارب إغفر فراغى ، وارحم فراغى ، واعطنى ما أعطيك ...



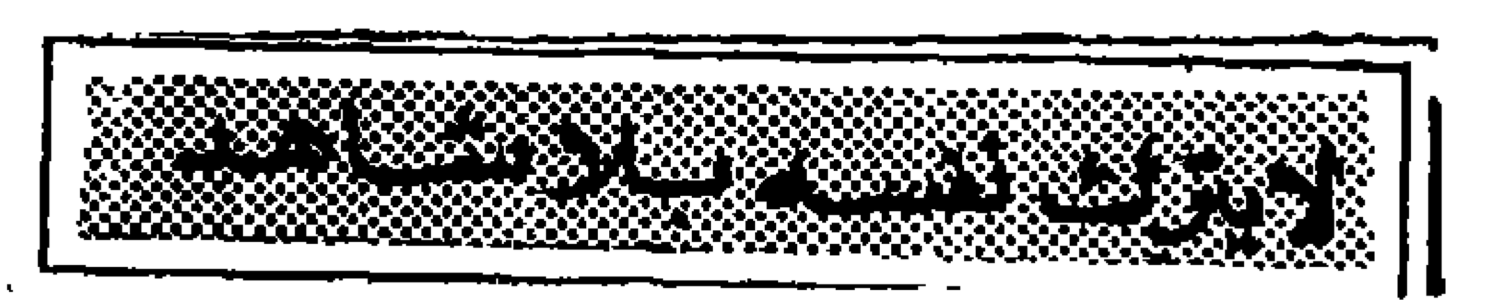


- لا يترك نفسه بلا شاهد ..
- نوعيات متعـــددة ..
- قدّس كل شيء ..
- ويرفع معنويات الكل ..

ألقيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ١٤/١/٧٧

بسم الآب والإبن والروح القدس - الإله الواحد آمين

إن الذى يمعن النظر فى قصة الميلاد ، يجد نفسه أمام تلأملات كثيرة . لعل فى مقدمتها إن الله ، فى كل عصر من العصور مهما كانت مظلمة ، «لا يترك نفسه بلا شاهد» (أع ١٤ : ١٧).



لقد احيط ميلاد الرب بمجموعة من القديسين ...
على الرغم من أنه كان عصراً مظلماً .

كان عصراً مظلماً حقاً ، لذلك قيل عن مجيء المسيح فيه «النور أضاء فى الظلمة . والظلمة لم تدركه (يو ١ : ٥) . والسيد المسيح نفسه قال عن الجيل الذى عاش فيه «جيل فاسق وشرير يطلب آية ، ولا تعطى له» (مت ١٢ : ٣٩، مت١٦ : ٤) . وكرر مثل هذا الكلام فى مناسبة أخرى (مر٨ : ٣٨) .

ولما تكلم عن المعلمين الذين أرشدوا الناس قبل مجيئه ، قال عنهم «كل الذين أتوا قبلى ، هم سراق ولصوص» (يو١٠ : ٨) .

وظهور قديسين فى ذلك العصر الخاطىء ، يعطى رجاء .

إن فساد العصر لا يمنع أن روح الله يعمل . ووجود الأرض الخربة الخاوية المغمورة بالماء والظلمة ، لا يمنع أن روح الله يرف على وجه المياه (تك ١ : ٢) . وفى كل جيل يستحق طوفاناً ليغرقه ، لابد من وجود نوح ليشهد للرب فيه . فالله لا يترك نفسه بلا شاهد . وهكذا كان العصر الذى ولد فيه المسيح .

رأينا مجموعة كبيرة من القديسين عاصرت الميلاد .

نذكر من بين هؤلاء ، القديس زكريا الكاهن ، الذى ظهر له ملاك وهو يبخر عند المذبح (لو ١ : ١١) . وزوجته القديسة اليصابات . وقد قيل عنه وعن زوجته :

« وكانا كلاهما بارين أمام الله ... » (لو ١ : ٦) .

وقيل عنهما كذلك إنهما كانا «سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه ، بلا لوم» (لو ١ : ٦) . إن الفساد السائد فى ذلك العصر ، لم يكن عقبة تمنع وجود هؤلاء الأبرار فيه .

وإلى جوارهما ، وُجد يوسف النجار وسمعان الشيخ ...

وقال الكتاب عن يوسف النجار إنه « كان رجلاً باراً » (مت ١ : ١٩) .

وسمعان الشيخ شهد له الكتاب بأنه « كان باراً تقياً ، ينتظر تعزية إسرائيل ، والروح القدس كان عليه » (لو ٢ : ٢٥) . إنه أمر يجلب الرجاء والتعزية ، أن نسمع أنه فى جيل فاسق وشرير ، أمكن وجود رجل بار ، عليه روح الله ، وأنه « أوحى إليه بالروح القدس ... » ، وأنه « أتى بالروح إلى الهيكل » (لو٢ : ٢٦ ، ٢٧) .

جيل فاسد ، ولكن الروح القدس يعمل فيه .

ونتيجة لعمل الروح وجد هؤلاء الأبرار ... وكان الروح يكلمهم ... وكان الملائكة يظهرون لهم . وكانت لهم أحلام مقدسة . واستحقوا أن يروا المسيح له المجد .

وفى وسط قديسى هذا العصر ، نجد قديسة نبية هى :

حنة النبية بنت فنوئيل العابدة فى الهيكل .

وكانت هذه القديسة « لا تفارق الهيكل ، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً » (لو٢ : ٣٧) .

ومع هؤلاء وجدت العذراء والمعمدان .

إننا لا نيأس من فساد أى جيل ، إذا رأينا أن جيلاً شريراً كهذا ، عاشت فيه فى حياة الكمال أطهر إمرأة فى الوجود ، هى مريم العذراء ، التى استحقت أن الروح القدس يحل عليها ، وقوة العلى تظللها ، ويولد منها إبن الله (لو١ : ٣٥) .

وكذلك فى هذا الجيل الفاسق ، وُجد يوحنا المعمدان ، الذى من بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو ١ : ١٥) . والذى وصفه الرب بأنه أعظم من ولدته النساء (مت ١١ : ١١) .

كل أولئك كانوا موجودين فى عصر واحد ، هو وقت الميلاد ، بالإضافة إلى المجوس والرعاة الذين استحقوا بشارة الملائكة ورؤية المسيح .

وكان هناك قديسون آخرون وقت كرازة الرب وقيامته .

نذكر من بين هؤلاء الإثنى عشر رسولاً ، والسبعين الآخرين الذين اختارهم

أيضاً (لو ١٠: ١). ويذكر بولس الرسول «أكثر من خمسمائة أخ» ظهر لهم السيد المسيح بعد قيامته (١كو ١٥: ٦)... كل هؤلاء وأمثالهم كانوا الباكورة. ثم شملت القداسة الكل...

وكل هؤلاء إجتمعوا معاً فى عصر قيل إنه فاسد. أليس هذا أمراً يعطى رجاء للجميع؟!

ثم أنه مما يزيد الرجاء فى القلوب حقيقة أخرى هامة وهى:

كان هؤلاء القديسون من نوعيات متعددة.



فى إحدى المرات جاءنى إنسان تائباً ليعترف بخطاياه. وبعد الإعتراف طلب منى لمنفعته الروحية أن أرشده إلى قراءة قصص بعض قديسى التوبة. فأعطيته قصص قديسين كبار مشهورين فى حياة التوبة، مثل القديس موسى الأسود، القديس أوغسطينوس، القديسة بيلاجية، القديسة مريم القبطية... ولما قرأهم وجاءنى مرة أخرى، سألته: هل أعجبتك القصص؟ فأجابنى:

نعم أعجبتنى، ولكن كلهم من نوع واحد، ترهب...

وسألنى هل توجد سير لقديسين آخرين تابوا، ولكنهم عاشوا مثلنا فى العالم، فى مثل حياتنا، دون أن يترهبوا...؟ وهل كل الذين يتوبون، لا بد أن ينتهوا إلى الرهبنة؟ ألا يوجد تنوع فى مصير التائبين؟

ولا شك أن ذلك الشخص كان له حق فى سؤاله. إنه يريد عينة تابت، وعاشت بعد التوبة حياة مقدسة فى العالم، مثلما يعيش هو...

وفى قصة الميلاد، نرى عينات متنوعة من القديسين، نذكر من بينها:

نرى فى قصة الميلاد قديسين مختلفين فى السن.

نرى إنساناً طاعناً جداً فى السن مثل سمعان الشيخ، ومثل زكريا الكاهن وزوجته اليصابات «وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما» (لو ١: ٧). وكذلك حنه النبية «وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة» (لو ٢: ٣٧). ويوسف النجار أيضاً كان شيخاً...

وإلى جوار هؤلاء نجد السيدة العذراء مريم، وكانت فى نحو الرابعة عشرة من

عـمرهـا ، شابة صغيرة . ثم هناك يوحنا المعمدان وهو طفل ، وقد ارتكض بابتهاج فى بطن أمه لما سمع سلام العذراء (لو ١ : ٤٤). ومن بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو ١ : ١٥). أما الرعاة فغالباً كانوا فى سن الرجولة ، لا أطفالاً ولا شيوخاً ، وقد بشرهم الملاك .

وكان قديسو الميلاد ، متنوعين من جهة عملهم .

كان منهم الكاهن ، مثل زكريا ، وتبعه فى ذلك إبنه يوحنا .

وكان هناك النجار مثل يوسف ، من سبط يهوذا وليس من الكهنوت .

أما سمعان الشيخ فكان من علماء اللاهوت أو علماء الكتاب .

والمجوس كانوا من رجال الفلك ، وهم غير الرعاة فى عملهم .

وحنه بنت فنوئيل كانت نبية ، وكانت عابدة ، والعذراء كانت عابدة واليصابات كانت تخدم بيتها (ست بيت).

والقداسة شملت الكل . لا يهم السن ، ولا نوع العمل .

كل إنسان له نصيب فى الرب : النجار مثل عالم اللاهوت ، مثل الكاهن . والنبية مثل ست البيت . وعالم الفلك مثل راعى الغنم... لقد جاء السيد المسيح للكل . وكل إنسان له رجاء فى المسيح ، بغض النظر عن سنه وعن عمله .

كذلك كان قديسو الميلاد متنوعين من جهة الزواج .

فهناك قديسون متزوجون عاصروا قصة الميلاد وبركته ، مثل زكريا الكاهن وزوجته اليصابات . وكانت هناك الأرملة مثل حنه النبية (لو ٢ : ٣٧). ولا شك أن سمعان الشيخ كان أرملاً أيضاً . وفى قديسى الميلاد نرى أيضاً المتبتلين مثل السيدة العذراء ، ويوحنا المعمدان . ونرى المخطوبين مثل العذراء ويوسف النجار (لو ١ : ٢٧).

فى صورة واحدة إجتمع المتزوجون والمترملون والمخطوبون والبتوليون ، كلهم لهم نصيب فى الرب ، ونصيب فى حياة القداسة والتمتع بالمسيح .

الناس يتنازعون قائلين أيهم أفضل ؟ ونحن نقول : الكل لهم نصيب فى المسيح . المهم فى نقاوة القلب .

وفى قصة الميلاد ، نرى المرأة والرجل .

نرى قديسات نساء ، مثل العذراء ، واليصابات ، وحنه النبية .

ونرى قديسين رجالاً ، مثل يوسف النجار ، وزكريا الكاهن ، وسمعان الشيخ ...

الكل إجتمعوا معاً فى الفرحة بميلاد الرب ، لأن المسيح قد جاء للكل ...

كذلك نرى فى قصة الميلاد فقراء وأغنياء .

المجوس كانوا أغنياء ، لأنهم قدموا هدايا من ذهب ... و يوسف النجار كان فقيراً ، وكذلك كانت السيدة العذراء التى لم تجد مكاناً تضع فيه مولودها ، فولدته فى مزود بقر... وقد اجتمع الغنى والفقير معاً فى قصة الميلاد ، لأن الرب يحتضن الكل . وكل إنسان له نصيب فيه . جاءت البشارة للرعاة البسطاء ، كما لهيرودس الملك أيضاً (مت ٢ : ٣) .

وبنفس الوضع نجد فى الميلاد أنواعاً من الناس .

نجد العمل ، والتوحد : العمل ممثلاً فى الرعاة الذين كانوا يسهرون فى حراسات الليل على أغنامهم ، وظهر لهم الملاك يبشرهم بالميلاد . والتوحد كان ممثلاً فى حنة النبية التى كانت عاكفةِ على عبادتها فى الهيكل ، وسبحت الله على ميلاد المسيح (لو ٢ : ٣٨) .

وفى قصة الميلاد ، كما نرى اليهود ، نرى الأمم أيضاً يمثلهم المجوس .

نرى الصغير والكبير ، العلمانى والكاهن ، العابد والخادم ، النبى والإنسان العادى ، المرأة والرجل ... الكل معاً ، فى فرحة البشرية بالميلاد .

وفى الفرحة بالميلاد إشترك الملائكة مع البشر .

ملائكة بشروا بالميلاد ، ميلاد المسيح المخلص للكل ، وميلاد سابقه يوحنا المعمدان الذى يهيىء الطريق قدامه . وجمهور من الجند السماوى ظهروا مسبحين الله وقائلين : « المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وفى الناس المسرة » (لو ٢ : ١٣ ، ١٤) .

وقصة الميلاد تعطى رجاء فى اللقاء مع المسيح .
سواء فى الطفولة ، أو فى الشيخوخة والكهولة .

يوحنا المعمدان ، إلتقى بالرب ، وارتكض بابتهاج نحوه ، وهو بعد جنين فى بطن أمه (لو ١ : ٤٤) . والعذراء مريم إلتقت به فى شبابها . وزكريا واليصابات إلتقيا

به وهما شيخان متقدمان فى الأيام، وكذلك حنة النبية. وسمعان الشيخ إلتقى به فى سن الكهولة، وهو أكثر من ٢٠٠ سنة عمراً. ولكن له رجاء فى هذا اللقاء إذ أوحى إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب (لو٢ : ٢٦).

وكان فى قصة الميلاد رجاء حتى للعاقر.

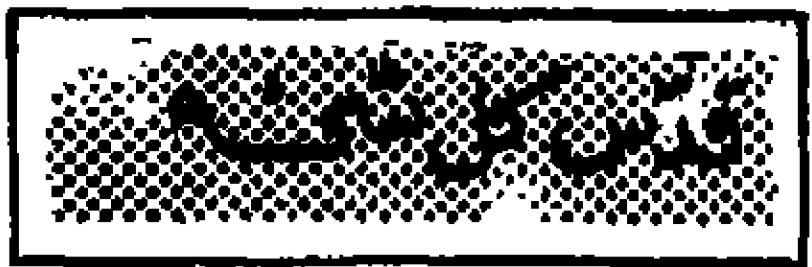
وتمثل ذلك فى اليصابات التى كانت عاقراً (لو ١ : ٣٦). ومع ذلك أعطاها الله إبناً فى شيخوختها. وكان إبنها أعظم من نبى، بل لم تلد النساء من هو أعظم منه (مت ١١ : ١١).

وأعطى المسيح فرصة للكل أن يروه.

سواء الغرباء أو الأقارب : الغرباء مثل المجوس والرعاة. والأقارب مثل اليصابات نسيبة العذراء (لو ١ : ٣٦)، ويوسف قريبها... أعطى فرصة لليهود والأمم.

كل أنواع الناس وجدت لها نصيباً فى المسيح الذى جاء ليعطى رجاء للكل... حتى إن كنت لم تبصر المسيح طوال عمرك، ستراه ولو فى كهولتك مثل سمعان الشيخ. وحينئذ تقول «الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢ : ٢٩، ٣٠).

وكما أعطى المسيح بميلاده رجاء للكل، كذلك قدّس كل شىء :



ارانا ان « **كل شىء طاهر للطاهرين** » (تى ١ : ١٥).

وهكذا قدّس الجسد، لما أخذ جسداً ...

الجسد الذى يتكلم البعض عنه كما لو كان فاسداً وسبباً لكل خطية، هذا قدسه الرب لما أخذ لنفسه جسداً وحل بيننا، وأرانا كيف يكون الجسد طاهراً ومقدساً ومرضياً لله ...

وقدس الجسد، حينما حل الروح القدس فى بطن السيدة العذراء، وقدس جسدها ليكون إنناء طاهراً مختاراً لحلول الله الكلمة. وقدس الجسد فيما بعد لما منحه نعمة القيامة والصعود إلى فوق. وأعطانا أن نقوم بأجساد روحانية (١كو١٥ : ٤٤).

وهكذا قدس أجسادنا ، وقدس أرواحنا ، وقدس طبيعتنا البشرية عموماً «أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له» ... وصيرنا نحن جسده ، وهو الرأس ...

وقدس كذلك بتجسده كل مراحل العمر .

أعطانا مثالاً للحمل المقدس . ومثالاً للطفولة المقدسة لما صار طفلاً . وبنفس الوضع أرانا كيف يكون الشباب مقدساً ، وكيف تكون الرجولة مقدسة . أعطانا الصورة المثالية لكل مرحلة من مراحل العمر لما مرّ بها .

وقدّس المسيح الزواج .

قدس الزواج ، لما سمح أن تتزوج العذراء بيوسف النجار ، وإن كانت لم تعش معه كزوجة ، إنما عاشت بتولاً فى كنفه ورعايته .

وقدس الزواج أيضاً ، لما حضر عرس قانا الجليل وباركه (يو ٢) .

وقدس الأرض والبحر والمكان عموماً .

الأرض التى لعنها الرب فى خطية آدم (تك ٣ : ١٧) ، عادت فدخلتها البركة بميلاده . وهكذا بارك فلسطين بميلاده فيها ، وبارك بلادنا مصر بإقامته فيها بضع سنوات . بل بارك مزود البقر إذ ولد فيه . وبارك بلاد الشرق . وبارك كل مكان حلّ فيه ، وكل مكان صنع فيه معجزة . وبارك البحر لما مشى عليه .

وبارك الجبل حين ألقى عظة عليه ، وحين تجلى على الجبل ، وحين كان يختلى فى جبل الزيتون ، وحين صلب على جبل الجلجثة .

وقدّس الحياة البشرية التى مارسها .

قدس الصوم ، لما صام أربعين يوماً (مت ٤ : ٢) . وقدس الأكل والشرب ، لما أكل مثلنا وشرب ، حتى قيل عنه «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب» (مت ١١ : ١٩) .

قدس العمل ، حينما اشتغل نجاراً فى بيت يوسف ، وقيل عنه «أليس هذا هو النجار ابن مريم» (مر ٦ : ٣) . وهكذا بارك العمل لما عمل بيديه . قدس كل عمل كانت تمتد إليه يده .

قدس الحياة كلها ، وناب عن البشرية فى هذا التقديس .

البشرية لم تقدم حياة مقدسة كاملة لله ...
فقدمها الإبن الكلمة نيابة عنا ، كصورة الله .

قدم لنا الصورة الإلهية التى ينبغى أن يحيا بها الإنسان الكامل على الأرض . وكان هو بيننا «صورة الله غير المنظور» (كو ١ : ١٥) ، رأينا الله فى شخصه ... لأن « الله لم يره أحد قط » ولكن « الإبن الوحيد الكائن فى حضن الآب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) . هو الذى قال « من رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) . فبالنسبة إلينا أرانا صورة الله . وبالنسبة للآب قدم له صورة الإنسان الكامل ، الذى خلق منذ البدء على شبهه ومثاله (تك ١ : ٢٦) . وعاد له بهاؤه فى التجسد ...

وفى هذه الصورة الإلهية ، قدّس كل شىء .

قدس الفقر والغنى والمال .

قدس الفقر ، لما ولد فقيراً فى مزود بقر ، وعاش فقيراً ليس له أين يسند رأسه . وقدس الفقر لما اختار له تلاميذ فقراء صيادى سمك ... وفى نفس الوقت قدس الغنى ، لما سمح أن يكفنه رجل غنى هو يوسف الرامى (مت ٢٧ : ٥٧) ، ودفن فى مقبرته الخاصة .

وقدس المال ، إذ كان لجماعته صندوق يضع فيه المتبرعون مالهم (يو ١٢ : ٦) . وقدس المال لما امتدح الأرملة التى دفعت من أعوازها فلسين فى الخزانة (لو ٢١ : ٢) . وهكذا لم يعد المال شراً فى ذاته كما يظن البعض .

وعاش على الأرض محباً لكل أحد ، يرضى الجميع ، ويشبعهم من رضاه .



يرفع معنويات الأطفال ، بمحبته وحنانه .

- الأطفال الذين كان ينظر إليهم الكبار فى احتقار ، وكانوا ينتهرونهم ويطردونهم من طريقه ، هؤلاء رفع هو من معنوياتهم لما قال « دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (لو ١٨ : ١٦) . وأيضاً لما رفع طفلاً فى الوسط وقال « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، لن تدخلوا ملكوت الله » (مت ١٨ : ٣) . وكان يحب الأطفال ويحتضنهم ويباركهم (مر ١٠ : ١٦) . ولما انتهروهم وهم يسبحون يوم أحد الشعانين ، دافع عنهم بقول المزمور « من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سبحاً » (مت ٢١ : ١٦) .

وفى هذا المجال ، تعجبنى صورة للمسيح يبارك الأطفال .

صورة رأيتها فى كتاب عن خدمة الكلمة فى مدارس الأحد فى أفريقيا وفى بلاد الشرق الأقصى : فيها المسيح يبارك أطفالاً متعددى الأجناس ، فيهم الطفل الأبيض ذو العيون الخضراء والشعر الأصفر المسترسل وشكله جميل . وفيها الطفل الأسود الجميل أيضاً بشعره المغلغل اللطيف . وفيها أيضاً الأطفال الجميلة من الأجناس الصفراء .ذات الملامح المعروفة : كلهم أطفال فيهم حلاوة وجمال ، بيضاً وسوداً وصفراً . والمسيح يبارك الكل . إنه قد جاء للكل... الفقير منهم الحافى القدمين ، تماماً كالغنى ذى الملابس الأنيقة .

أمر مؤلم ، أن توجد صورة للمسيح يبارك أطفالاً بيضاً فقط ، يرى فيها السود مشكلة التمايز العنصرى... ! فالمسيح للكل . لقد بارك الأطفال من كل نوع ومن كل جنس ، ورفع معنوياتهم جميعاً...

ورفع الرب أيضاً من معنويات المرأة ، وأعطاها مجالاً .

بارك النساء وخدمة النساء . ونسوة كثيرات كن يتبعنه من الجليل ويخدمنه (مت ٢٧ : ٥٥) . وكان يذهب إلى بيت مريم ومرثا فى بيت عنيا (لو ١٠ : ٣٨-٤٢) . وبارك مريم المجدلية وجعلها تلميذة له ، وظهر لها أولاً بعد القيامة (مر ١٦ : ٩) ، وأرسلها لتبشر تلاميذه الإثنى عشر (مت ٢٨ : ١٠) . ودافع عن المرأة الخاطئة التى بلت قدميه بدموعها ، وأظهر لسمعان الفريسى أنها أفضل منه (لو ٧ : ٤٤-٤٦) . ودافع عن المرأة التى ضبطت فى ذات الفعل وقال لمن طلبوا رجمها «من كان منكم بلا خطية ، فليرجمها أولاً بحجر» وقال للمرأة «وأنا أيضاً لا أدينك ، إذهبى بسلام» (يو٨ : ٧) .

كان المسيح أملاً ورجاء وسعادة ، لكل أحد .

ومحبته ورعايته ظللت حتى العشارين والخطاة أيضاً .

كان العشارون محتقرين من الناس فى جيلهم ، لأنهم كانو محبين للمال ، وكانوا مشهورين بالظلم . ولكن السيد المسيح رفع من معنويات هؤلاء أيضاً ، واقتادهم إلى التوبة والخلاص ، بل إلى الرسولية أيضاً... وهكذا فإنه فى وسط الزحام نادى زكا بإسمه ، وقال له «ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك» ودخل بيته وقال «اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً إبن إبراهيم» (لو ١٩ : ٩) ولم

يبال بتذمر الناس عليه لدخوله بيت رجل خاطيء.

بل أكثر من هذا دعا متى العشار، وجعله رسولاً وأحد الإثنى عشر (مت ٩: ٩، ١٠).

وفى مثل الفريسى والعشار (لو ١٨ : ٩ - ١٤) ، أظهر للناس أن العشار فى انسحاق قلبه وطلبه للرحمة، كان أفضل من الفريسى المفتخر ببره، وأنه خرج من الهيكل مبرراً دون ذلك...

وكما رفع معنويات العشارين ، رفع معنويات الأمم .

كان الأمم مكروهين من اليهود ، على اعتبار أنهم بعيدون عن الله ، غرباء عن رعويته وعهوده، بلا أنبياء، بلا ناموس، بلا رجاء، بلا إله فى العالم (أف ٢ : ١٢). ولكن فى ميلاد المسيح، ضم كل هؤلاء إليه، وبدأ يمتدح الأمم، ويظهر أنهم مقبولون أمام الله. وبدأ بدعوة المجوس وكانوا أمميين. وماذا أيضاً؟

شفائه لغلام قائد المائة الأممى (مت ٨ : ١) ، نراه قد أعجب بإيمان هذا القائد وقال الحق أقول لكم:

لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا .

وقال فى تفوق هذا الإيمان الأممى على إيمان اليهود «وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون فى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٨: ١١، ١٢).

وامتدح الرب أيضاً إيمان المرأة الكنعانية .

وقال لها « يا إمرأة عظيم هو إيمانك » (مت ١٥ : ٢٨) ، مع أنها من شعب كان أول من أصابته اللعنة بعد تجديد الأرض بفلك نوح (تك ٩: ٢٥). وكما شفى غلام قائد المائة، شفى أيضاً إبنة المرأة الكنعانية. وهكذا رأى اليهود شيئاً جديداً، فى مدح الكنعانيين، والرضى عليهم، وشفاء أمراضهم. وبهذا رفع الرب من معنويات هؤلاء أمام الكل.

ورفع أيضاً معنويات الضعفاء والخاطئين ...

نأخذ مثالاً لذلك بطرس الرسول الذى أنكره، وسب ولعن وقال لا أعرف

الرجل. ولا شك أنه كان فى خزى من نفسه، حتى أنه خرج خارجاً وبكى بكاءً مراً (مت ٢٦ : ٧٥). فكيف رفع الإله الحنون معنوياته؟ يقول الكتاب أنه بعد القيامة «ظهر لبطرس ثم لباقى الإثنى عشر (١كو ١٩ : ٥). وماذا أيضاً؟ قال له الرب «إرع غنمى... إرع خرافى» (يو ٢١ : ١٥، ١٦). وهكذا لم يسحب منه رتبة الرسولية جزاء إنكاره...

حقاً، لقد ولد الحنان بميلاد الرب، أو رأى الناس هذا الحنان عملياً، فى صور مثالية لم يعرفوها...

كان قلباً كبيراً، يعطى من حنانه للكل.

حتى ذلك الرجل العظيم، نيقوديموس عضو مجلس السنهدريم الأعلى، الذى كان على الرغم من عظمته خائفاً من اليهود، لم يحتقر الرب خوفه، ولم يبكته عليه، لما جاء إليه هذا الرجل ليلاً (يو ٣ : ٢) حتى لا يراه أحد... بل تنازل الرب إلى ضعفه، وقابله فى الليل، وظل يغرس الإيمان فى قلبه شيئاً فشيئاً، فصار واحداً من تلاميذه ودافع عنه لما هاجمه الفريسيون (يو ٧ : ٥٠، ٥١)، واشترك مع يوسف الرامى فى تكفينه (يو١٩ : ٣٩، ٤٠).

وبنفس الحنان والعطف، تعامل الرب مع النساء.

كانت له جلسة روحية هادئة مع المرأة السامرية، لم يبكتها فيها عن خطاياها، إنما حدثها عن الماء الحى، واجتذبها للإعتراف، وجعلها تؤمن وتدعو غيرها إلى الإيمان أيضاً (يو٤).

والمرأة نازفة الدم، التى يحسبها البعض نجسة، سمح الرب أن تلمس ثوبه، وأن تنال منه الشفاء. ولما رآها مرتعدة لأنها لمست ثيابه، قال لها «يا إبنة، إيمانك قد شفاك، إذهبى بسلام» (مر٥ : ٢٥-٣٤).

والمرأة التى سكبت الطيب على قدميه، وانتهرها الناس، دافع الرب عنها، وطوّب عملها، قائلاً للناس:

لماذا تزعجون المرأة؟ لقد عملت بى عملاً حسناً.

وقال عنها أيضاً «الحق أقول لكم: حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها» (مر٥ : ٣- ٩، مت٢٦ : ٦- ١٣). ما أجمل

هذا التشجيع . إنها عبارات تعزى جنس المرأة بوجه عام .

أعطانا الرب فى تجسده مثالاً للقلب الحانى على كل أحد ...

وكان حانياً على الخطاة ...

كان يجلس معهم و يقتادهم إلى التوبة . ولا يعتبرهم أشراراً بقدر ما يعتبرهم مرضى . و يقول عنهم فى رفق «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ، لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مر ٢ : ١٧) . وهكذا جعل للخطاة نصيباً فيه ، ورجاء فيه ...

كان رجاء لكل من فقد الرجاء .

كل مريض كان يفقد الرجاء فى شفائه ، و يعجز الأطباء عن شفائه ، كان يأتى إلى المسيح ، رجاء من ليس له رجاء ، ومعين من ليس له معين... ولعل من أمثلة ذلك مريض بيت حسدا ، الذى قضى ثمان وثلاثين سنة فى مرضه ، وليس له إنسان يلقيه فى البركة ، هذا جاء إليه السيد المسيح بنفسه ، بقلبه ، بحنانه ، بإدراكه إحتياجات الإنسان... وشفاه وجعله يحمل سريره ويمشى» (يوه : ١-٩) .

كل إنسان ، وكل مكان ، شهد حنان الكلمة المتجسد .

كان يدخل بيوت الناس ، وكان يدخل إلى سفن الصيادين . وكان شخصاً شعبياً مع الكل... يقابل الكل و يكلمهم : فى الطريق ، وفى البحر ، وعند البحيرة ، وفى الزروع ، وفى مواضع خلاء... فى كل مكان . ومجامع اليهود أيضاً ، دخلها وعلم الناس فيها (لو ٤ : ١٦- ٢١) . كان للكل . جاء من أجل الجميع ، ليخلص الجميع .

لم يشعر أحد أنه محروم منه ، حتى الذين ينتقدونه !

فالفريسيون الذين كانوا يقفون ضده ، والذين كانوا يريدون أن يصطادوه بكلمة ، لم يمتنع من زيارتهم وإظهار الحب لهم ، وأن لهم أيضاً رجاء فيه . ولما دعاه سمعان الفريسى ، دخل إلى بيته ، واتكأ... وناقشه وكلمه ودخل معه فى حوار (لو٧ : ٣٦-٤٧) .

كان قلباً مفتوحاً للكل ، يجول يصنع خيراً (أع ١٠ : ٣٨) .

أرانا صورة الإله المحب ... كل شخص يجد له نصيباً فيه ، مهما كانت نوعيته ،

ومهما كان سنه، ومهما كانت حالته الإجتماعية، أو ثقافته أو جهله... إنه للكل، قلباً محباً محبوباً، يصنع الخير مع كل أحد، ويفيض حباً وحناناً وتعليماً على كل من يقابله. ويمنح الشفقة للجميع، حتى لمنتقديه ومعارضيه، حتى للص المعلق إلى جواره على صليب... حتى لصالبيه الذين قال عنهم للآب «يا أبتاه إغفر لهم، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون» (لو ٢٣ : ٣٤). كان تجسده درساً عميقاً فى الحب. يستطيع كل من يراه أن يقول:

لى رجاء فى هذا الإله، الذى جاء لكل أحد.

لقد جاء للخطاة الذين أولهم أنا. وجاء أيضاً حتى لمضطهدى الكنيسة.

خذوا مثالاً لذلك، شاول الطرسوسى، الذى كان يضطهد الكنيسة بإفراط، وكان يجر رجالاً ونساءً إلى السجن، هذا أيضاً فى وقت ما، قابله السيد المسيح فى طريق دمشق، ودعاه، ليس فقط إلى الإيمان، وإنما إلى الخدمة، كرسول (أع ٩)، ووجد شاول نفسه فى قلب الرب، وصار خادماً له، يكرز بالإيمان أكثر من الجميع...

حتى الجندى الذى طعنه بالحربة، صار له نصيب فيه.

لقد طعنه هذا الجندى الرومانى. ولكن الرب قابل طعنته بحب، ومنحه نعمة إقتادته إلى الإيمان. فقال «حقاً كان هذا إبن الله» (مت ٢٧ : ٥٤)، وشهد أيضاً لبره (لو ٢٣ : ٢٧). وصار هذا الجندى قديساً. إنه القديس لونجينوس، تعيِّد الكنيسة لاستشهاده يوم ٢٣ أبيب.

حقاً، كل الذين قابلوه، منحهم نعمة وبركة.

لم يغلق ذاته على أحد إطلاقاً، بل فتح قلبه للكل، وفتح فمه ليعلم الكل. وفتح أبواب خلاصه أمام الجميع. وكلمة الجميع هنا، لخصها الكتاب فى عبارة واحدة هى «هكذا أحب الله العالم...» (يو ٣ : ١٦)... فهو لم يقصر محبته على طائفة أو مجموعة معينة، أو نوعية خاصة من الناس، أو شعب واحد، وإنما أحب العالم كله، بلا استثناء... وفى هذا الحب العام للجميع، الذى فى تجسده يفدى الجميع ويخلصهم، قيل عنه إنه:

حمل الله، الذى يرفع خطية العالم (يو ١ : ٢٩).

وقال عنه القديس يوحنا الحبيب إنه « كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١يو٢ : ٢) .

أى قلب هو هذا القلب الكبير ، الذى يتسع للعالم كله ، والذى يحمل خطايا الكل ، وقد وُضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) . وأصبح كل خاطىء يقترب إلى دمه ، يجد فيه مغفرة كاملة ، مهما كانت خطايا من يطلب الغفران.

كل إنسان ، مهما كانت نوعيته ، صار له نصيب فيه .

نقول إن هناك نصيباً ليوحنا الذى يتكىء على صدره ، وأيضاً لتوما الشكاك الذى لا يؤمن إلا إذا وضع أصبعه فى مكان الجروح (يو ٢٠ : ٢٧) . وفى قلبه مكان أيضاً لبطرس الذى كان مندفعاً ومتسرعاً ، وكثيراً ما وبخه الرب على إندفاعه فى الكلام (مت ١٦ : ٢٣ ، يو ١٣ : ٨) . وكذلك كان فى قلبه مكان لمرقس الشاب الذى هرب عرياناً وقت القبض عليه ، إذ كان يلبس إزاراً على عريه ، فلما أمسكوه ترك الإزار وهرب عرياناً (مر ١٤ : ٥١ ، ٥٢) . ومع ذلك قبله الرب ، وحل الروح القدس فى بيته (أع ٢) . وصار بيته أول كنيسة فى العالم (أع ١٢ : ١٢) .

لا يوجد أحد ليس له نصيب فى المسيح .

كان للكل ، للصغير والكبير ، للعامى والفيلسوف . كان للصيادين البسطاء ، كما للوقا الطبيب والفنان ، كما لشاول الفيلسوف الذى تهذب عند قدمى غمالائيل (أع ٢٢ : ٣) . إنه لجميع الناس . كل أحد كان يشعر بدالة وصداقة يمكن أن تربطه بالرب... وكل أحد كان يشعر بتواضع هذا المعلم الصالح ، وبسماحته ومحبته وحنانه وإشفاقه ومعرفته للطبيعة البشرية واختياجاتها .

ولقد استطاع فى تجسده أن يشبع كل حى من رضاه ، وأن يحمل أثقال الكل ، ويقول عبارته المشهورة :

تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم (مت ١١ : ٢٨) .

وهكذا كان مريح التعابى ، سواء المرضى والمصروعين ، الذين كان يضع يديه على كل واحد منهم فيشفيهم (لو ٤ : ٤٠) . حتى مريم المجدلية التى كان فيها سبعة شياطين (مر ١٦ : ٩) ، شفاها وتبعته وصارت من تلاميذه...

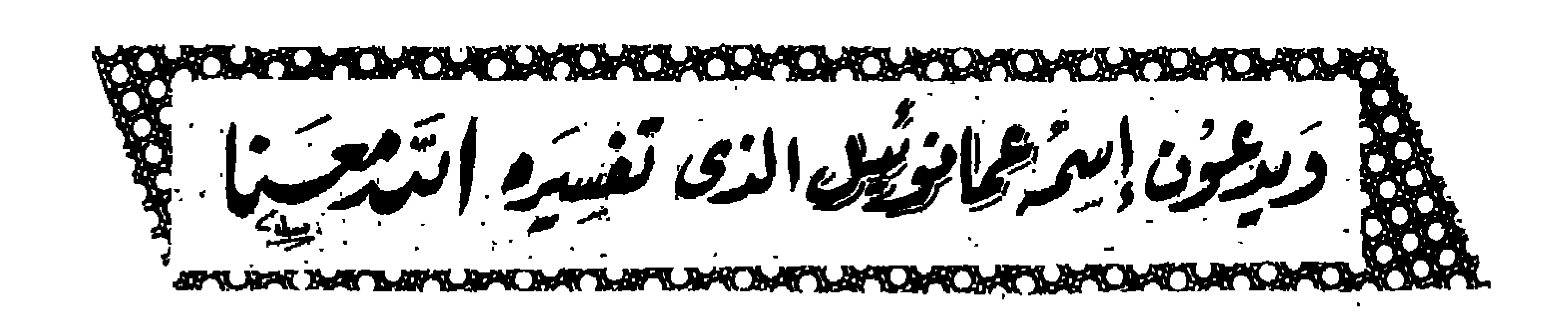
حقاً من كان يظن أن إنسانة فيها سبعة شياطين ، تصير مبشرة للرسل الإثنى

عشر بقيامة المسيح !...

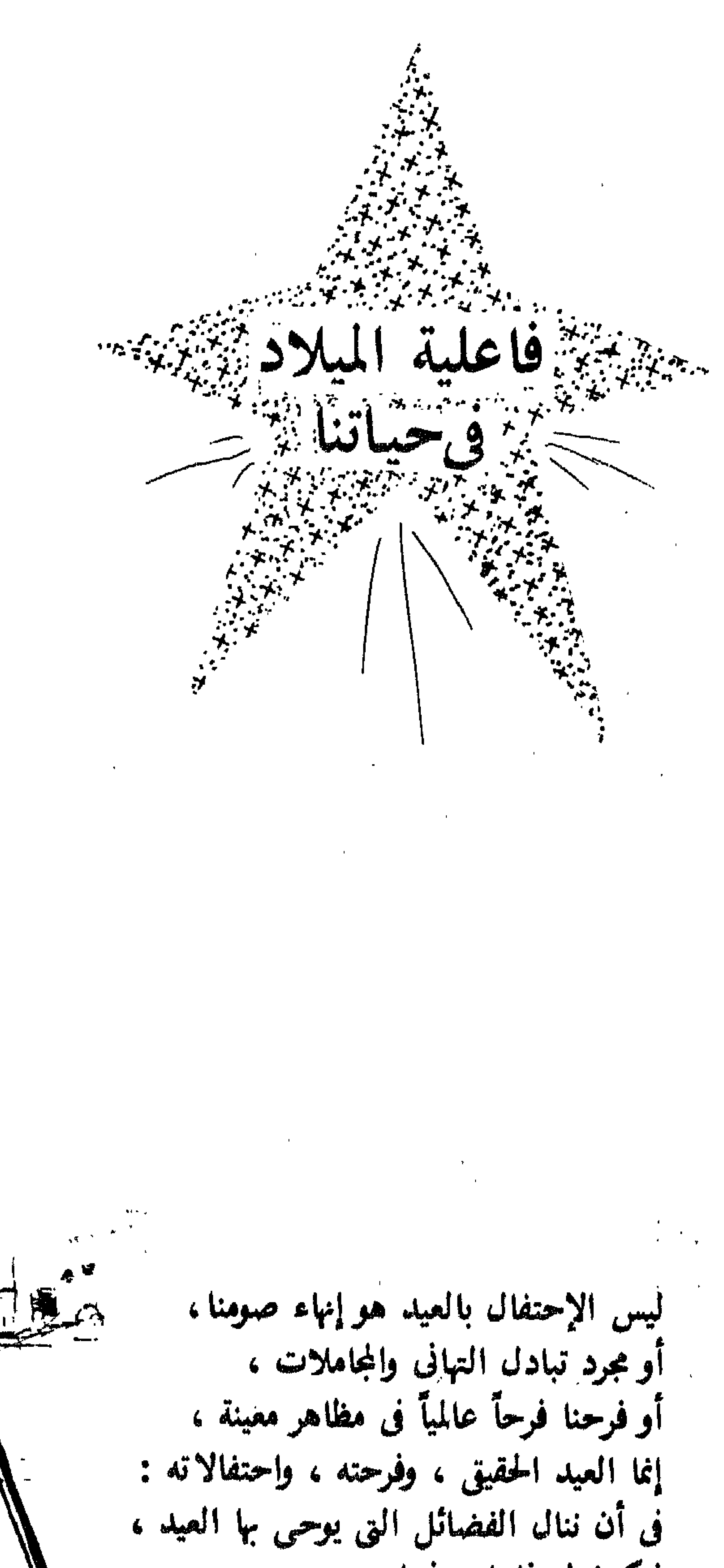
حقاً إن التجسد الإلهي هو باب الرجاء .

وجدنا فيه الرجاء لكل أحد ، ووجدنا فيه صورة الإله الحنون الذى يحب الكل ، الذى فيه رجاء لكل إنسان ، حتى للذى فيه سبعة شياطين . إذن لا ييأس أحد... مهما كان من جهال العالم ، أو من ضعفاء العالم ، أو من المزدرى وغير الموجود... (١ كو ١ : ٢٧ ، ٢٨) ، فإن الله سيخزى بهم الحكماء والأقوياء .

إذن آمنوا بالرب الذى للكل ، وحمل أثقال الكل ، وحمل خطايا العالم كله ، له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .



فاعلية الميلاد في حياتنا



ليس الإحتفال بالعيد هو إنهاء صومنا ،
أو مجرد تبادل التهاني والمجاملات ،
أو فرحنا فرحاً عالمياً في مظاهر معينة ،
إنما العيد الحقيق ، وفرحته ، واحتفالاته :
في أن ننال الفضائل التي يوحي بها العيد ،
فتكون له فاعليته فينا ...
فكيف يكون ذلك ؟

محاضرة ألقيت في عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٧٢ .

بسم الآب والإبن والروح القدس - الإله الواحد آمين

أهنئكم جميعاً بعيد الميلاد المجيد ، راجياً لكم حياة مقدسة مباركة ، كما أرجو أن يكون هذا العيد سعيداً عليكم ، تنالون البركات التى فيه ، وتشعرون بفاعلية العيد فى حياتك . وبهذه المناسبة ، أحب أن نتأمل معاً بضعة أمور، لعل فى مقدمتها :

الله رتّب لنا أعياداً

إن الله أراد لأولاده أن يفرحوا ، فرتب لهم أعياداً .

إنه شيء جميل حقاً ، يليق بالتأمل ، أن الله يحدد أياماً معينة للفرح ، و يوجد مناسبات تحسب أعياداً ، يعيد فيها الناس و يفرحون .

لم ينس الله هذه النقطة ، بل اهتم بها . وعندما أعطى البشرية شريعة ، لم تكن شريعته مجرد أوامر ونواه . إنما وضع ضمن الشريعة أياماً للفرح ، وأياماً للأعياد ، لأنه يريد لأولاده أن يفرحوا ، وأن يعيدوا ، وتبتهج قلوبهم .

وهذا واضح فى الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين :

حيث نقرأ فيه « وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم مواسم الرب التى فيها تنادون محافل مقدسة ، هذه هى مواسمى... هذه مواسم الرب... » (لا ٢٣ : ١-٤) .

فالأعياد فى الكتاب المقدس ، هى مواسم للرب ، أيام للرب .

ومن ضمن هذه الأعياد ، يوم الرب ، يوم الراحة الأسبوعى . هذا اليوم هو أول عيد . إذ يقول الله «ستة أيام يعمل فيها عمل . أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة ، محفل مقدس . عملاً ما لا تعملوا . إنه سبت للرب» (لا ٢٣ : ٣)... وبهذا المعنى تكلم الرب أيضاً عن باقى الأعياد . إنها أيام للرب ، أيام للراحة . ولا يصح أن يكون يوم العيد يوم عمل ، لأنه يوم للرب . والعمل فيه كسر للوصية الإلهية .

حيث أن يوم العيد يوم مقدس ، مخصص للرب .

العالم ليس له نصيب فيه ، لا من جهة العمل ، ولا من جهة اللهو والعبث . إنه يوم عطلة . ولكن عطلة للرب . ولعل الترجمة الإنجليزية للكلمة تعطى معنى أجمل :

يوم العطلة ترجمته HOLIDAY أى يوم مقدس .

إذن أيام الأعياد ، مع يوم الراحة الأسبوعى ، هى أيام مقدسة حسب الشريعة ، وهى أيام مخصصة للرب ، ينبغى أن نشعر فيها تماماً أنها كلها من نصيب الرب. وقد كانت للأعياد قديماً ، طقوس دينية معينة تمارس فيها ، مثلما كان يحدث فى عيد الفصح وعيد الفطير (خر ١٢) ، وفى عيد الحصاد وغيره من الأعياد (لا ٢٣) . ومازالت للأعياد طقوسها وصلواتها فى العهد الجديد .

ولكن لا يصح أن نكتفى فى تقديس يوم العيد ، بالصلوات التى تقام فى الكنيسة ، إنما يجب أن نحرص على أن تكون له قدسيته الكاملة . وكيف ذلك؟ إن أهم ما يجعل للعيد قدسيته هو:

أن نتذكر الفضائل التى يوحى بها العيد ، ونحياها ...

فما هى الفضائل التى يقدمها لنا عيد الميلاد مثلاً ، حتى ننفذها ونحيا بها ؟... وبهذا يكون ليوم العيد فاعليته فى حياتنا وسلوكنا ، ونحتفظ بقدسيته عملياً... لأنه ما الفائدة أن نحتفل بالعيد ، وليست للعيد فاعلية نشعر بها ، ويشعر بها الناس ، فى حياتنا العملية ...

عدم الإهتمام بالمظاهر

من الدروس الهامة التى نتعلمها فى عيد الميلاد ، عدم الإهتمام بالمظاهر . فالسيد المسيح لم يهتم بها إطلاقاً . وإلا ، فبماذا نفسر إرادته فى أن يولد ببلدة صغيرة هى بيت لحم ، وفى مكان حقير هو مزود بقر ، وفى يوم لا يعلن للناس... وبدون إحتفالات ... ؟!

كان فى إمكانه أن يأتى إلى العالم فى موكب مهيب ، على مركبة من الشاروبيم والسارافيم . ولكنه لم يهتم بالمظاهر . وولد فى يوم شديد البرودة ، لم يجد فيه أقمطة كافية ولا دفئاً . فعلينا إذن أن نتأمل هذه النقطة ونأخذ منها درساً .

فإن بعدنا عن المظاهر العالمية ، ندخل فى فاعلية الميلاد .

فالعظمة الحقيقية ، ليست فى المظاهر الخارجية من غنى وملابس وزينة ... وباقى أمثال هذه الأمور التى فيها إعلان عن الذات ، إنما العظمة الحقيقية هى فى القلب المنتصر المملوء بالفضائل ...

إبحثوا إذن ما هى المظاهر الخارجية التى تقعون فى حبها ، وتجنبوها ... إن أردتم أن تكون للميلاد فاعلية فى حياتكم... وماذا أيضاً ؟

من دروس الميلاد : الإتضاع ...

إن ميلاد السيد المسيح هو أكبر درس فى الإتضاع . وقصة الميلاد بدون الإتضاع ، تفقد جوهرها الإلهى . تأملوا إذن فى إتضاع الرب ، الذى فى تجسده «أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان» (فى ٢ : ٧ ، ٨) . وتأملوا فى صورة الميلاد أيضاً ، أمنا العذراء التى قالت عن اختيار الرب لها «نظر إلى اتضاع أمته» (لو ١ : ٤٨) .

فإن أردنا الإحتفال بالميلاد ، فلنحتفل بالإتضاع فيه وفينا .

ولنبحث ما هى أعماق الإتضاع ، وكيف تكون ، وكيف نحياها ؟ وما هى الأمور التى تضاد الإتضاع فى حياتنا لكى نتجنبها ؟ لأنه ما الفائدة أن ننظر إلى اتضاع المسيح ، دون أن نقتنى هذا الإتضاع ، ونشابهه فينا ، إذ قد ترك لنا مثالاً (يو ١٣ : ١٥) ، حتى كما سلك هو ، ينبغى أن نسلك نحن أيضاً (١يو ٢ : ٦) . وماذا غير الإتضاع والبعد عن المظاهر ؟

من دروس الميلاد : البساطة ...

نلاحظ فى قصة الميلاد أن هناك أشخاصاً إختارهم الرب ، وأعلن لهم مشيئته ... بينما هناك آخرون -على الرغم من علو مكانتهم ومراكزهم- لم يقع إختيار الرب عليهم . فمثلاً أعلن الرب بشارة الميلاد للرعاة ، وللمجوس ، فسمعوا وفرحوا ، وذهبوا إلى هناك ، وسجدوا ...

حدث هذا ، بينما لم تعلن هذه البشارة لكثيرين من القادة ، كالكتبة والفريسيين والكهنة وشيوخ الشعب ... فلماذا ؟

ذلك لأن أسرار الرب ، تعلن لقلوب بسيطة تفرح بها .

المجوس والرعاة كانوا بسطاء ، سمعوا فصدقوا ففرحوا وآمنوا . وذهب المجوس وقدموا هداياهم . وكما أرشدهم الرب فى حلم ، نفذوا ما أراد (مت ٢ : ١٢) .

أما الكبار فلم تكن قلوبهم مستعدة ، ولم تكن بسيطة ... ومثل ذلك هيرودس الملك ، الذى لما سمع الخبر «إضطرب وكل أورشليم معه» (مت ٢ : ٣) .

واستخدام الفحص والإستقصاء، وأيضاً الكذب والحيلة والتآمر...

أمامك النوعان من الناس . فمن أى نوع أنت ؟

هل أنت من المستحقين أن يعلن لهم الرب أسراره ؟

ولعلك تسأل : من أين لى أن أعرف ؟ فأجيبك أن الإستحقاق يحتاج إلى بساطة قلب، كقلوب الرعاة البسطاء. وكالمجوس الذى على الرغم من كونهم حكماء، إلا إنهم كانوا بسطاء أيضاً، ولم يكن فى قلوبهم مكر كهيرودس وأمثاله. فلما أرشدهم النجم، صدقوا وتبعوه. ولما أعلن لهم فى حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، صدقوا ونفذوا. ولما رأوا الرب كطفل، وفى مزود، لم يشكوا، بل آمنوا وصدقوا... إن الإيمان يحتاج بلا شك إلى بساطة قلب...

العذراء القديسة، كانت لها بساطة قلب أيضاً، فآمنت بما قيل لها من قبل الرب (لو ١: ٤٥). وصدقت أنها ستلد وهى عذراء. و يوسف النجار أيضاً آمن بنفس الموضوع، لما أوحى له بذلك فى حلم... ونحن فى هذه المناسبة علينا أن نسأل أنفسنا :

هل نسلك ببساطة قلب، أم بتعقيد وشك ؟

إن العالم المعاصر - للأسف الشديد - فى حياته الكثير من التعقيد. وإن كان للمدنية المعاصرة أخطاء، فلعل فى مقدمتها أنها أفقدت العالم بساطة القلب.

والبساطة كنز عظيم، من الخسارة أن يضيع .

والبساطة غير السذاجة . ويمكن أن تكون بسيطاً وحكيماً .

ولقد دعانا الرب أن نكون بسطاء وحكماء « بسطاء كالحمام، وحكماء كالحيات » (مت ١٠: ١٦). والمجوس كانوا بسطاء وحكماء. فليتنا نحن أيضاً نكون كذلك. نكون بسطاء فى غير انقياد وفى غير جهل، إنما مع حكمة، ولكن فى غير تعقيد...

ومن دروس الميلاد : ملء الزمان ...

قيل عن السيد المسيح إنه جاء « فى ملء الزمان » (غل ٤ : ٤) . مع أن الوعد بالخلاص أعطى لآدم وحواء قبل ذلك بآلاف السنين.

ونحن فى ميلاد الرب نتذكر « ملء الزمان » هذا ، وأن كل شيء

يتم فى حينه الحسن، حسب إرادة الرب الذى يحدد الأزمنة والأوقات.

إيماننا بملء الزمان، يجعلنا نصبر، ولا نقلق...

بل فى طمأنينة كاملة، ننتظر الرب «من محرس الصبح حتى الليل» (مز ١٢٩)، عالمين أن السرعة ليست هى المقياس السليم، بل اختيار الرب للوقت المناسب. وعندما يأتى الوقت المناسب، لابد أن يعمل الرب عملاً...

سعى الله لخلاصنا

من المعانى الروحية التى نتعلمها من قصة التجسد والميلاد، أن الله هو الذى يسعى لخلاصنا. وأن خلاص الإنسان هو عمل الله نفسه، حتى لو قصر الإنسان أو أهمل فى خلاص نفسه، فإن الله يهتم به.

كانت البشرية الخاطئة عاجزة عن تخليص نفسها، فأتى الله ليخلصها.

قال القديس يعقوب السروجى، إنه كانت هناك خصومة بين الله والإنسان.

ولما لم يستطع الإنسان أن يذهب إلى الله ليصالحه، نزل الله إلى الإنسان لكى يصالحه...

إذن الله هو الذى بدأ عملية الخلاص هذه. هو الذى وعد بها، وهو الذى أعد لها، وهو الذى تمم العمل كله. وما كان ممكناً أن يتم الخلاص بدونه.

قصة الميلاد هى بداية عمل الخلاص كله. لذلك لما رأى سمعان الشيخ هذه البداية، قال «الآن يارب تطلق عبدك بسلام، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢: ٢٩، ٣٠).

إن ميلاد السيد المسيح، ليس هو مجرد ميلاد عادى، إنما هو دليل الحب الإلهى العجيب «هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد» (يو ٣: ١٦). وطبعاً أرسل إبنه لكى يبذله عن العالم. فهذا البذل أو الفداء هو سبب التجسد الإلهى. هو مجيء محبة الله إلى العالم.

وكلما ننظر إلى صورة ميلاد المسيح، نتذكر حب الله للبشرية.

نتذكر سعيه لخلاصهم. نتذكر الرب الذى جاء «يطلب ويخلص ما قد هلك» (لو ١٩: ١٠). من أجل خلاصنا أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد. تجسد، واحتمل ضعف البشرية، وجاع وعطش وتعب، وتعرض للإهانات، وتحمل الآلام، صلب،

وقبر وقام. أى حب أعظم من هذا، نتذكره كلما تأملنا ميلاده...

ولد فى مزود بقر، لكى يرفعنا إلى العرش فى الأبدية.

صار إبناً للإنسان، لكى يجعل الإنسان إبناً لله.

أخذ الذى لنا، لكى يعطينا الذى له. حمل خطايانا، لكى نحمل بره.

مجيئه إلى العالم، كان لوناً من الإفتقاد ومن الرعاية، إفتقد به جنسنا البشرى. أرسل الأنبياء والرسل والملائكة لتعد الطريق قدامه. ثم جاء أخيراً بنفسه. وكل هذا يدل على عمق محبته لنا، وأنه لا يشاء أن نهلك فى خطايانا.

فإن كان الله يحبنا بهذا المقدار، فلنحبه نحن أيضاً.

وإن كان الله يسعى إلى خلاصنا بكل هذه التضحية والبذل، فلنحرص نحن على خلاصنا، ولنشترك معه فى العمل... نسعى لعلنا ندرك الذى لأجله أدركنا المسيح (فى ٣: ١٢).

هذا أيضاً درس آخر نتعلمه من الميلاد. وإن كنا لا نهتم بخلاصنا، لا نكون قد دخلنا إلى فاعلية الميلاد فى حياتنا.

روح المناسبة

لا بد أن هناك دروساً أخرى كثيرة نأخذها من ميلاد الرب. ولكن الشيء المهم هو أن ندرب أنفسنا على الإستفادة من هذه الدروس.

فى هذا العيد، وفى كل عيد يمر بكم، وفى كل مناسبة روحية، ادخلوا فى «روح المناسبة». إكتشفوا روحياتها، وطبقوها فى حياتكم. قولوا فى أنفسكم: أى درس يريد الله أن يعطيه لنا فى هذه المناسبة؟ وما هى رسالة الله إلينا فيها؟

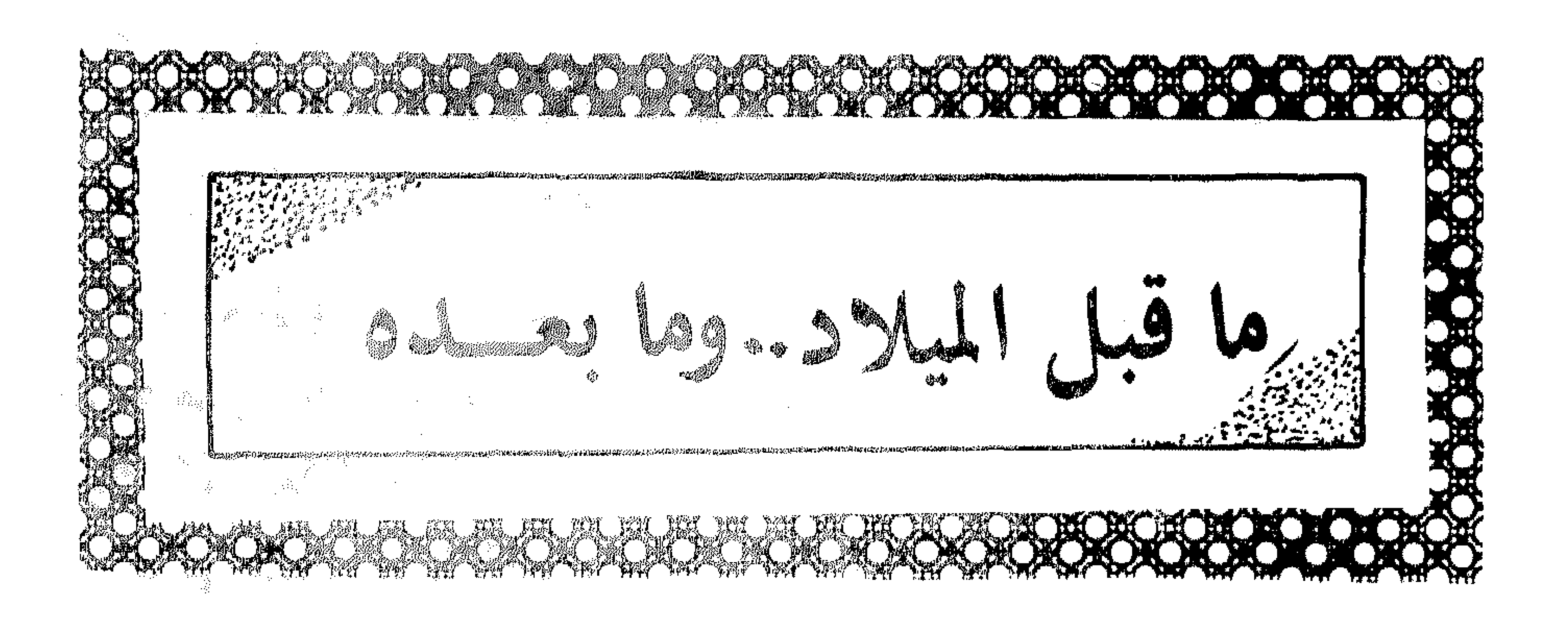
إستفيدوا من هذا اليوم المبارك، فلا يمر مروراً عابراً دون أن يكون له أثر فى حياتكم العملية.

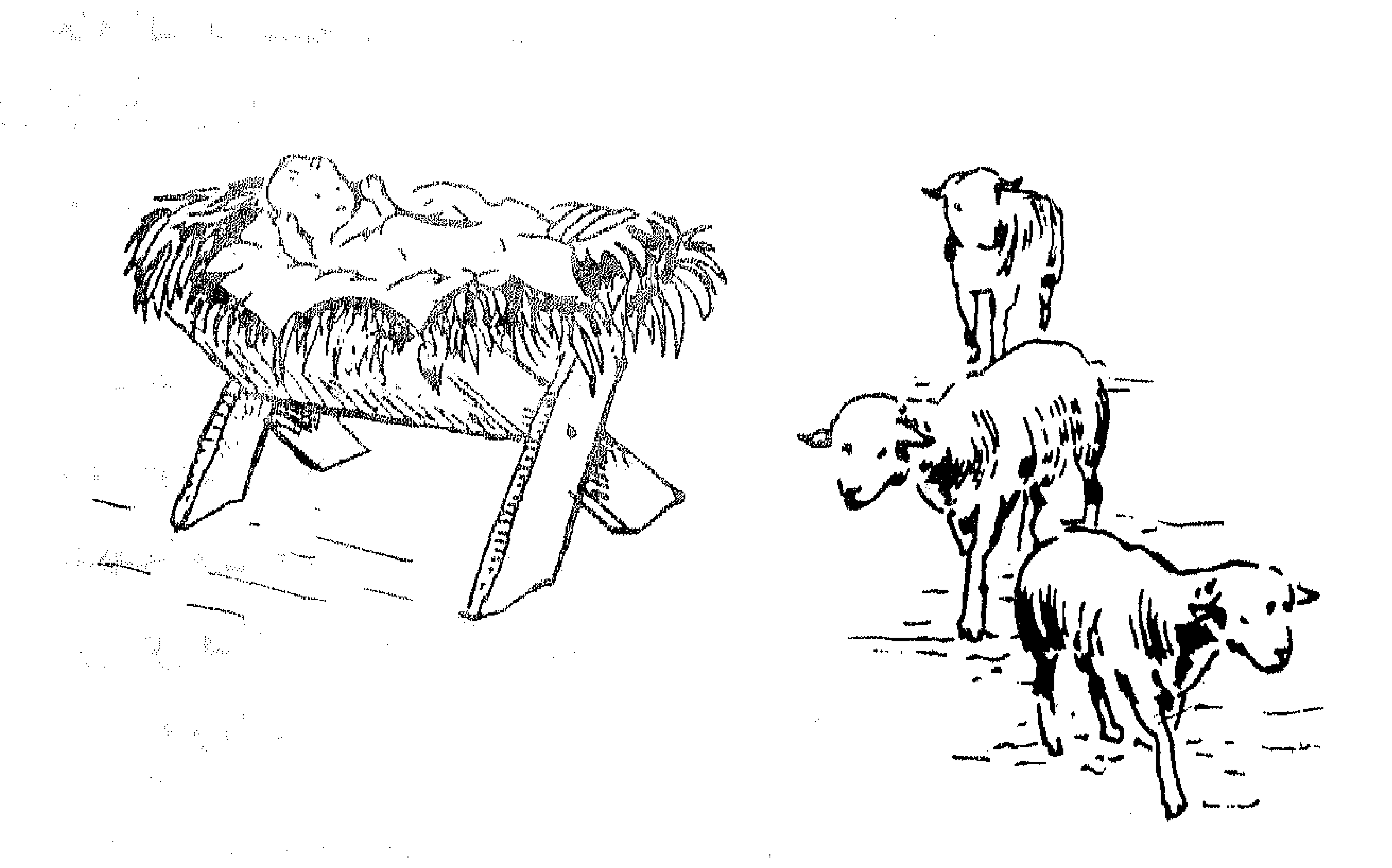
أشعروا أن العيد قد أحدث فى حياتكم تغييراً إلى الأفضل.

وأن العيد كانت فيه دفعة قوية، دفعتكم إلى قدام، وقربتكم بالأكثر إلى الله.

واذكروا أن العيد هو أحد مواسم الرب وأعياده. وقد أعطانا الرب أن نفرح فيه فرحاً روحياً، لتكون لنا فيه حياة، ويكون لنا أفضل.







ألقيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ١٥/ ١

ابنائى وإخوتى الأحباء ...

أهنئكم ببدء عام جديد ، و بعيد الميلاد المجيد ، راجياً لكم جميعاً ، ولكل شعب مصر الذى باركه الرب ، أياماً سعيدة هانئة ، مملوءة من عمل نعمته .

إن العالم بميلاد السيد المسيح ، قد بدأ عصراً جديداً ، يختلف كلية عما سبقته من عصور. وأصبح هذا الميلاد المجيد ، فاصلاً بين زمنين متمايزين : ما قبل الميلاد ، وما بعد الميلاد .

فما هى هذه الجدة التى أعطت العالم صورة جديدة ما كانت له من قبل ؟ أو ما هو ذلك التجديد الذى قدمته المسيحية ، حتى قيل فى الإنجيل « الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً ؟

لقد قدم السيد المسيح مفهوماً جديداً للحياة ، وتعبيرات جديدة لم تكن مستعملة من قبل ، ومعانى روحية عميقة لجميع المدركات ، حتى بهت سامعوه من كلامه ، وصاحوا قائلين « ما سمعنا قط كلاماً مثل هذا » ...

جاء السيد المسيح ينشر الحب بين الناس ، وبين الناس والله . يقدم الله للناس أباً محباً ، يعاملهم لا كعبيد وإنما كأبناء ، و يصلون إليه قائلين « أبانا الذى فى السموات » . وفى الحرص على محبته ، يفعل الناس وصاياه ، لا خوفاً من عقوبته ، وإنما حباً للخير. وفى هذا قالت المسيحية :

« الله محبة . من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، والله فيه » ،

« لا خوف فى المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » .

وهكذا قال السيد المسيح إن جميع الوصايا تتركز فى واحدة . وهى المحبة : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، وتحب قريبك كنفسك . بهذا يتعلق الناموس كله والأنبياء ...

وأدخل المسيح تعليماً جديداً فى المحبة ، وهو محبة الأعداء والمسيئين . فقال « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم » . وترى المسيحية فى هذا ، أن رد الإساءة بالإساءة ، والإعتداء بالإعتداء ، معناه أن الشر قد انتصر. بينما تعليم الكتاب هو « لا يغلبنك الشر ، بل إغلب الشر بالخير» ، « إن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فاسقه » . ويجب أن تنتصر المحبة ، لأن « المحبة لا تسقط أبداً » ، « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة » ...

إن عبارة « الله محبة » ، عبارة جديدة على العالم ، الذى ما كان يعرف سوى الله الجبار المخيف الذى يخشى الناس سطوته و يترضونه بالذبائح وألوان العبادات ...

وعبارة « محبة الأعداء » ، هى عبارة جديدة فى المعاملات الإنسانية ، بهت العالم لسماعها من فم المسيح ...

وفى المحبة ، جاء المسيح أيضاً ببشارة السلام ...

سلام بين الناس ، وسلام بين الإنسان والله ، وسلام فى أعماق النفس من الداخل . سلام من الله يفوق كل عقل . ولما ولد المسيح غنت الملائكة « وعلى الأرض سلام » . لأنه جاء ليقيم صلحاً بين السماء والأرض ، بين الله والناس ، بعد أن كانت الخطيئة تقيم حاجزاً بين الإنسان والله ...

وهذا الصلح أراده على الدوام أن يستمر فى العلاقات الإنسانية . فقال « إن قدمت قربانك فوق المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك قربانك قدام الذبح ، واذهب أولاً إصطلح مع أخيك » .

ذلك لأن الصلح أفضل من تقديم القرابين .

و يقول الكتاب « أريد رحمة لا ذبيحة » . وهكذا قال المسيح أيضاً « كن مراضياً لخصمك سريعاً ، ما دمت معه فى الطريق » . وقال أيضاً « من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضاً » ...

وأراد السيد المسيح أن ينتشر السلام بين الناس ، فقال لتلاميذه « وأى بلد دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت » ، « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم » ، « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض » ...

وفى سبيل السلام ، دعت المسيحية الناس ، أن يكونوا « مقدمين بعضهم بعضاً فى الكرامة » ...

لأن المحبة يمكن أن تثبت عن طريق التواضع وإنكار الذات واحتمال الآخرين . ولهذا قال السيد المسيح « من أراد أن يتبعنى ، فلينكر ذاته ، ويحمل صليبه و يتبعنى » . وعبارة [إنكار الذات] عبارة جديدة قدمتها المسيحية إلى العالم . وقبل ذلك كانت (الذات) صنماً يتعبد له صاحبه ، ويحب أن يكبر و يتمجد ...

المسيحية دعت إلى أن ينسى الإنسان نفسه ، فى محبته لأخيه .

إنها المحبة الباذلة التى تعطى باستمرار، وتبذل حتى نفسها . و باستمرار تأخذ « المتكأ الأخير» ، وتحتمل الكل لكى تربح الكل...

إنها المحبة التى تختفى لكى يظهر غيرها ...

المحبة التى تقول « ينبغى أن ذاك يزيد ، وإنى أنا أنقص » . المحبة التى تقول لله « ليس لنا يارب ، ليس لنا ، لكن لإسمك القدوس أعط مجداً » ...

إنه التواضع فى التعامل مع الناس ومع الله .

الذات التى تختفى ، ولا تعلن عن نفسها ، بل تفعل الفضيلة فى الخفاء ، والآب السماوى الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيها علانية . ومن هنا كان تعليم المسيحية « من سعى وراء الكرامة ، هربت منه . ومن هرب منها بمعرفة ، سعت وراءه » ...

وهكذا يقول السيد المسيح تعليماً جديداً على أسماع الناس « من وجد نفسه يضيعها . ومن أضاع نفسه من أجلى يجدها » .

ووضع المسيح مقاييس جديدة للقوة .

فالقوة ليست مظهراً خارجياً للقهر والإنتصار على الغير، إنما القوة هى شىء داخلى ، فى أعماق النفس ، للإنتصار على الذات . فالذى يغلب نفسه خير ممن يغلب مدينة .

وفى المسيحية ، ليست القوة هى أن نقهر الآخرين ، إنما أن نريحهم ونحتملهم . فالذى يحتمل غيره هو القوى . أما المعتدى فهو الضعيف . ولهذا يقول الكتاب « أطلب إليكم أيها الأقوياء أن تحتملوا ضعف الضعفاء » .

إن المعتدى ضعيف لأنه مغلوب من خطيئته ، مغلوب من العنف ، ومن عدم محبته للآخرين ، مهما بدا قوياً من الخارج . أما الذى يحتمل فهو قوى ، قوى فى ضبطه لنفسه ، قوى فى عدم إنتقامه لنفسه ...

يعوزنى الوقت يا إخوتى إن حدثتكم عن كل المبادىء الروحية الجديدة التى عرفها العالم بميلاد المسيح .

إنما يكفى أن نقول أن عصر ما بعد الميلاد كان جديداً تماماً فى مفاهيمه . حتى شرائع الله السامية التى قدمها الله فى العهد القديم ، ما كان الناس يفهمونها إذ كان البرقع على عيونهم وقلوبهم وعقولهم ، حتى كشف المسيح لهم ما فى الشريعة من جمال وسمو... له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

كتب صدرت
للبابا شنوده الثالث

إنطلاق الروح
شريعة الزوجة الواحدة
الوصايا العشر
الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى
مار مرقس الرسول
القمص ميخائيل إبراهيم
يونان النبى
تأملات فى حياة الأنبا أنطونيوس
آدم وحواء ـ قايين وهابيل
كلمات المسيح على الصليب
تسبحة أسبوع الآلام « لك القوة والمجد »
خميس العهد
الجمعة الكبيرة
كيف نبدأ عاماً جديداً
من وحى الميلاد
تأملات فى الميلاد
اليقظة الروحية
السهر الروحى
الرجوع إلى الله
حياة التوبة والنقاوة

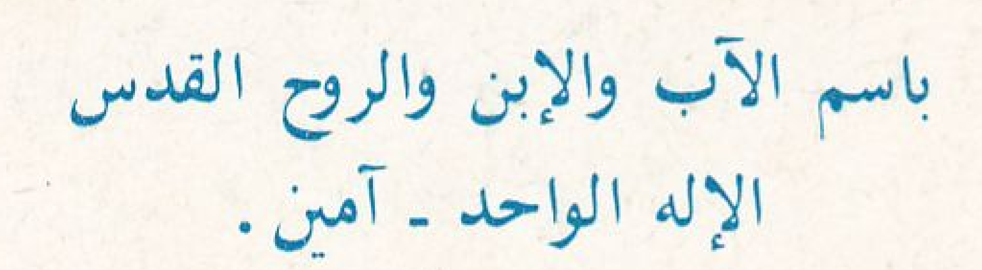
. كلمة منفعة «٣ أجزاء»
يستجيب لك الرب
الوجود مع الله
الله وكفى
سنوات مع أسئلة الناس (جزئين) .
حـــياة الإيمـــــان .
حـــروب الشـــياطين .
الكهنـــــــوت .
مقالات روحية نُشرت بجريدة الجمهورية .



فى هذا الكتاب







باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد - آمين .

إن قصة الميلاد والتجسد ، تحمل الكثير من المعانى الروحية ، نريد فى هذا الكتاب أن نجعلها موضوعاً لتأملاتنا ...

ونريد أيضاً أن نتفهم فاعلية هذه المعانى الروحية فى حياتنا ، ومدى ما يمكننا أن نستفيد به عملياً كأشخاص نتتبع أقدام مخلصنا الصالح الذى قدم لنا مثالية عالية ...

وفى هذا الكتاب نشرنا لك بعض مقالات لم تنشر قبلاً فى كتابنا السابق [تأملات فى الميلاد] .

وهناك مقالات أخرى عن الميلاد نود أن ننشرها فيما بعد ، حينما يتيح لنا الرب فرصة أخرى .

أما الآن فأرجو لكم عيداً سعيداً وحياة مباركة ...

شنوده الثالث





